



دارالكانب العربي للطباعة والنسر

اهداءات ۱۰۰۲

المرحوم الشيخ/ احمد علي فايد موجه اللغة العربية بوزارة التعليم

ررابات

، يَ مايو ١٩٦٧ العدد ٢٩٤

المامين المامي

نأيف: لين دايتون ربمه: السيدوفائي

مقدمة

كان اتصالهما عن طريق الخط التليفوني المباشر في حسوالي الساعة الثانية والنصف مساء . ولم يكن الوزير قد فهم نقطتين واددتين بالملخص المعروض عليه . ربما كان الافضل أن أقابل ااوزير .

وكان مسكن الوزير يطل على ميدان ترافلجار . واتخذ كل منا مجلسه تجاه الآخر .

۔ خبرنی بکل ما تعلم عن هذا الوضبوع ، وعن القصة بكل حذافيرها تفصيلا .

هل تدخن ؟

وبینما کنت اشعل سیجارتی ، کنت اتسامل فیما بینی وبین نفسی : « کیف ابدا ؟ » فقلت له :

لا أعرف كيف أبدا ومن أين ... أن المستند الأول باللف ... فقاطعنى الوزير بحركة من يده قائلا : « دعنا من الملف ، ما عليك الا أن تسرد على مسامعى روايتك الشخصية ، ولتبدأ بأول لقاء لك بهذا الرجل ... » ثم تأمل مفكرته مستطردا ، « جاى . نبئنى بأمره . »

- ـ جاى . لقد أصبح أسمه الحركى بوكس فود .
 - _ لقد اختلط الأمر على .

ثم اخرج الوزير مفكرته ودون الاسم بها . فقلت له :

انها كقصة محيرة • جد محيرة •

وأمن الوزير على ذلك قائلا: « تماما ، تماما » ، قبل أن أواصل كلامني :

ے كنت فى ليديريرز فى حوالى الساعة ١٢ و ٥٥ من صباح يوم الثلاثاء عندما التقيت بجاى لاول مرة .

ليديريرز ! وماذا عن ليديريرز ؟

_ ما أظن أنه سيكون من اليسير على أن أجيب عن كل سؤال وانا مستطرد في سرد قصتى . أذا لم يكن لديك مانع يا سيدى الوزير، فانى أفضل أن تدون أسئلتك كلما عن لك هذا ، ثم تستفسر منى عما تريده فيما بعد .

ـ أعدك بأننى لن أقاطعك .

وفعلا ، لم يقاطعنى ، أو يحاول شيئًا من هذا القبيل ، طوال الساعات التي تناولت فيها ايضاح ما غمض من جوانب هذه القصة . لا يعنينى ما تقول ، اذ ان ١٨٥٠٠٠ جنيه (استرلينى) مبلغ لايستهان به . فقد أصدرت الحكومة البريطانية تعليماتها الى بدفع هذا المبلغ للرجل الجالس الى المائدة الكائنة في دكن القاعة يتناول طعامه .

وجاى هو الاسمالذى تطلقه الحكومة على هذا الرجل ، ذى العينين الضيقتين والشارب الكث والحذاء الضخم . وكان يعرج ى خطوته ، دافعا سبابته الى حاجبه بين الفيئة والاخرى • وكنت اعرفه كما أعرف أيا ممن خالطتهم ، لأننى واظبت على دؤية فيلم له ، في عرض خاص بشارع شارلوت ، طوال شهر يوميا .

ولم أكن قد سمعت عن جاى من قبل . وكانت عطلة الأسابيع الثلاثة قد أسرعت بنهايتها . ولم أقضها فيما يستحق أن يذكر ، اللهم الا اذا كنت ترى في مراجعتى لمجموعة كنبى التاريخية العسكرية عملا يليق برجل مكتمل النمو .ولم يكن هذا هو رأى الكثيرين من أصدقائى .

واستيقظت من نومي وأنا أحدث نفسي قائلا ، « اليوم عمل ، » ولكنني لم أشعر برغبة في مفادرة الفراش . وكنت أسمع صوت تساقط الأمطار قبل أن أزيح ستائر النوافذ ، انه شهر ديسمبر في لندن ـ شهر الرياح العاصفة والطقس الشديد البرودة ، وأعدت اسمدال السمتائر مسرعا ، وجلست أفحص بريدي وأعمد قدحا من الشاي ، قبل أن أرتدى ثيابي . وكان على أن أقفى أربعين دقيقة في انتظار احدى العربات ، فقد كانوا لا يحبون أن يقبلوا عبر نهر التيمس جنوبا .

ولطالب كرهت ان اعين لسبائقي العسربات وجهتي ، « وزارة الحرب » ، فكنت أسألهم السير بي الى « هـوايت هول » ، حيث أغادر العربة عند الباب الرئيسي ، ثم أستدير حول المبنى الى مدخله الكائن بشارع هورس جاروز ، ووجدت سيارات الجيش في هـذا اليوم واقفـة أمام المدخل ، ودلفت الى الدهاليز الطويلة الظلمـة ، بين صفوف من الأبواب ثبتت عليها بطافات بيضاء بأسماء شاغلي حجراتها:

فهذا میجور ، وذاك كولونیل ، وتلك معامل الكیمیا، • وكانت الغرفة رقم ۱۳۶ لا تختلف عن غیرها بخزاناتها ومكتبیها المتقابلین بجوار النافذة .

ورفع روسى ، الرجل الذى قدمت لمقابلته ، عينيه عما كان منشعلا بكتابته منذ دخول الى الغرفة قائلا : « حسنا ، والآن « وسلم بعصبية ، وكنا _ روسى وأنا _ نتبادل شعور الكراهية التى نشأت بيننا منذ بضعة أعوام ، غير أن هذا لم يمنع أن نتحلى بادب السلوك الشرقى في علاقتنا المظهرية . ولما دعانى للجلوس عارضا على أن أدخن جلست شاكرا معتذرا عن التدخين .

وكان روسى ضابطا منتظما مرتبا ، فكان لا يحتسى الخمر بعدد الساعة السابعة والنصف مسلاء ، ولا يتحسدث الى سيدة الا وهو رافع قبعته . وكان أقنى الأنف ، رفيع الشارب ، ممشط الشعر ، أنيقا حسن الهندام .

ودق جرس التليفون الأسود . « أهو أنت يا عزيزتى ؟ » وكان روس ينطق بكل كلمة في لهجة عادية ثابتة « بصراحة ، كنت سأفعل هذا » .

وكنت قد قضيت ثلاثة أعوام في عملى بالمخابرات الحربية .وكان روسى صورة طبق الاصل من العاملين بالمخابرات الحربية . وكانسعيدا بعمله هذا ، قرير العين بما يفرضه عليه عمله من قيود . ولقد قدر للى أخيرا أن أتحرر من كل ذلك . من خدمتى بالجيش ، ومن عملى

بالمغابرات الحربية ، ومن اتصال بروس ، بعمل المدنى الجديد في احدى وحدات المغابرات الهامة .

ـ حسنا ، سأتصل بك تليفونيا اذا ما اضطررت للتخلف ليلة الخميس ...

وتسمعت الصوت الآخر على الخط يقسول: « هل أنت مسستعد لكل شيء ؟ »

وبعد أن انتهى روسى من مكالمته ، بدأ حديثه معى ، وقد حرصت على أن أوليه كل انتباهى . قال لى وهو يشعل غليونه .

- اذن فستعمل بالجهاز السرى !

ولم يحاول أن يخفى امتعاضه ، فقد كان الجيش لا يحب هذا الجهاز ولا العاملين به ، وقد أصبحت منهم . ولن أحدثك بكل ماقاله روسي ، لاني أرى في معظمه سرا من الاسرار تضمئته ملفاته .

وكان معظم العاملين بوذارة الحرب ، وبالذات رجال المخابرات من زملائى ، قد سمعوا بأمر هذا الجهاز السرى (ووك.نى) ، وبأمر رجل يسمى دالبى . وكان دالبى مسئولا أمام مجلس الوزراء رأسا . وكان بديهيا أن تنفث عليه ، هذا الاتصال المباشر ، وحسدات المخابرات الاخرى ، وتدأب على معارضته ومهاجمته . وكانت سلطة دالبى لاحدود لها ، شأنه في ذلك شأن كل من يتولى مثل هذا العمل . وكل من الحق بالعمل معه ، أستبعد اسمه من الجيش ومن سجلات وزارة الحسرب لدواعى تتصل بمصلحة العمل الجديد .

وراجعنا معا كل ما اتصل بنشاطى اثناء عملى بالمخسابرات الحربية طوال هذه السنوات الثلاث ، وكان لايفتا يردد أسفه على حسرمان المخابرات من عملى بها ، وحسده لمستر دالبى ان استطاع أن يضمنى الى جهازه .

وكانت مكاتب هذا الجهاز الذى يتولى رئاسته دالبى ، كائنة باحدى بنايات شارعخلفى طويل من الشوارع المحاذية لشارع أكسفورد وكان هذا هو كهف دالبى كما يطلقون عليه . وارتقيت الدرج الى الطابق

الشالث ، حيث دخلت محييا اليس التي كانت تحتسي قدام الني الني كانت تحتسي قداللي النسكافيه ثم عرجت الى غدرفة خلفية ، حيث التقيت بتشيكو الذي كان يسر لرؤياى دائما . وكان من حرس الفرسان قبل أن يلتحق بالعمل بهدن الجهاز ، طويل القامة متوقد الذهن ، بادى الثراء •

واجتزت الدهليز الى الدرج الخلفى ، لأهبط الى قاعة عسرض الافلام ، حيث كان يجب أن أتواجد بها يوميا فى تمام السساعة التاسعة وأربعين دقيقة صباحا . وكنت أتجه رأسا الى المقعد رقم ٢٢ الذى خصص لى .

ويبدأ العرض بهذه الكلمات جاى . ليدز . وارين ٣ . (وارين ٣ اشارة الى الامر الذى صور الفيلم بمقتضاه) . وتظهر صورة جاى على الشاشة ، وهو يسير بين حشد من المارة . وكان شاربه العلامة الميزة له . ولاحظت أن عرجه لايعجزه عن متابعة سيسيره وسيط الازدحام . ثم شاهدت جاى في صحبة زميل اسمه الحركى « هاوس مارتن » . وكان طويل القامة ، وسيما ، يرتدى معطفا من صيوف الجمل . كما كان أشيب الفودين متموج الشعر ، يتحلى بالكثير من الخواتم الذهبية ، وتنفرج شفتاه عن ابتسامة لايتغير طابعها .

وكان تشيكو هو الذى يتواى عرض الافلام ، مرددا نظرية داابى اعرف عدوك » بين لحظة وأخرى ، وكان يعتقد أنه على جميع العاملين معه أن يتعرفوا على جميع نواحى حياة الجاسوسية ، حتى تنهيا لهم خير الفرص للكشف عما يجول بخواطرهم .

وكان دالبى من المدرسة الانجليزية بكل معنى الكلمة ، ومن هذا الطراز من الرجال الذين يوفقون بين واجبهم وبين الدعة والراحة ، وكان طويل القسامة ، اشقر الشعر ، يرسل شاربه حينا ويزيله حينا ولم يكن له شارب حينذاك ، سألنى وهو جالس الى مكتبه قائلا :

_ لعلك مرتاح الى عملك معنا!

ـ لقد حضرت الى هنا بدهن صاف وقلب نقى . وها أنا

أقضي من يومى ثماني ساعات في نوم عميق . اننى موظف مخلص مجد ، وسأبذل أقصي ما في وسعى لاكون جديرا بثقة رئيسي ورءايته .

- _ عل تظن أنه فد آن الأوان لتكليفك بمهمة خاصة ؟
 - هذا اذا لم تكن تنطلب تعليما كلاسيكيا .
- عليك أن تصدع بما تؤمر ، دون شكوى أو تذمر .

وكان جادا في كلامه ، يضرب الارض بقدمه والمكنب بقبضته . ثم استطرد قائلا:

- لقد، اجتمعت بكبار رجال المخابرات صباح اليوم . ان وزارة الداخلية في قلق مهض بسبب تكرار حوادث اختفاء كبار علماء الكيمياء الحيوية .

- ـ هل من جديد ؟
- ـ هذا الصباح . لقد غادر أحدهم منزله في الساءة السابعة وخمسة وأربطين دقيقة صباحا ، ولم يصل الى المعمل بعد .

۔ اهو اخلال بالواجب ؟

واصدد دالبي اعره الى اليس عن طريق التليفسون الداخل : « افتحى ملفا جديدا باسم حركى لحادث هذا الصباح . » وكان هذا هو أسلوب دالبي في اصداره لأوامره ، أسلوبا مقتضبا محددا . وكنا نفضل هذا الاسلوب عن غيره من أساليب وزارة الحرب الطويلة المعقدة . وسمعت صوت أليس الذي لم أتبين منه شيئا ، ثم سمعت دالبي يجيبها قائلا : « الى الجحيم برسالة وزارة الحسرب هسذه . افعلى ما أمرتك به » . وبعد لحظة صمت قصيرة ، اتصات به أليس لتبلغه برقم الملف وبالاسم الحركي « دافن » .

وبعد أن فرغ دالبى من ذلك ، التفت الى قائلا : " انهم يسدلون سسترا من السرية على اختفاء رافن ، ولكننى قلت لهم أن وليم هيكاى سسيحصل على صسوره الفوتوغرافية قبل منتصف النهاد .

تأمل معى هذه ». ووضع دالبى فوق مكتبه خمس صور فوتوغرافية صغيرة . ولاحظت أن رافن في نهاية الحلقة الرابعة من عمره ، أسود الشعر غزيره كثيف الحاجبين ، عظمى الأنف • ثم استطرد معلقا : « بهذا يصبح العدد ثمانية ، اختفوا في ستة أسنابيع ونصف » .

- _ من المؤكد أن وزارة الداخلية لم تكلفنا بمساعدتها .
- كلا ، ولكننا اذا ما عثرنا على رافن ، فسيعهد وزير الداخلية الى تسريح ادارة مخابراته الرتبكة ، ويعهد الينا باختصاصها ونتسلم ملفاتها .
 - اذا ما عثرنا عليه! وكيف نبدأ هذا؟
 - _ كيف تبدا انت ؟
- ليست لدى أية فكرة عن ذلك . قد أبدا من المعمل ، أولى من الاتصال بزوجته ، التى قد لا تعرف الكثير عما ألم به أخيرا . وقد أتصل بمدير البنك الذى يتساءل من أين له كل هذا ؟ . وقد أمسك بطرف الخيط من كلمة تصدر عن أحد زملائه من العلماء .

ورمقنى دالبى بعينين فاحصتين ، ثم نهض عن مقعده واتجه الى الخريطة الكبيرة المثبتة الى الحائط حيث لحقت به قائلا : « اوتظن أن جاى مسييطر على الموقف ؟ » وظل دائبى معدقا بخسريطة أوربا لحظة ، ثم أجابنى ، « أنا واثق من هذا كل الثقة ، » ولاحظت أن هناك خمس علامات لمناطق تمتد من فنلندا الى بحر قروين مؤشر عليها بالقلم الاسود ، كما لاحظت أن هناك بقعتين في سوريا مثبت عليهما العلم الاحمر .

وسمعت دالبى يقسول: « ان لجاى دخلا فى كل حسركة غير مشروعة تقع في نطاق هذه الخطوط السوداء . كل حركة لها أهميتها . يجب علينا قبل أن يصل الى هذه الحدود ... » ثم لم أستطع أن أتبين شيئا مما كان يتمتم به وهو مستقرق في أفكاره ، يدق بسبابته على الخريطة . واخيرا التغت الى قائلا:

- « ان الامر ليس أمر اخلال أحد علماء الكيمياء الحيوية بواجبه •

كما أنه ليس كما تصوره الصحف ، عملية اختطاف تحت تهديد مادى في صورة هجرة مقنعة ، أو هي هجرة كيميائي عادى كان يبيعهم أسرار عمله طوال هذه السنين ، كلا ، أنها أكبر وأوسع نطاقا من ذلك ، وانها صورة ناطقة لاهمال رجال وزارة الداخليسة الجسسيم ، الذين كان من الواجب عليهم أن يمنعوا وقوع شيء من هذا القبيل ، بدلا أن يثيروا الدنيا ويقعدوها بعد وقوعه ، الست معى في أنه لو تيسرت لنا جميع امكانياتهم لكنا جنبنا البلاد الكثير مما يحدث »

ب أعتقد أنه كان بوسعنا أن نقوم بالكثير.

وسره منی هذا الرای . وبعد أن فدم الی سیجارة وأشعل لنفسه أخری قال :

- « ومن هذا يمكنك أن تدرك مدى ما لهذه القضية من أهمية انها ليست بالقضية العادية .
- ـ « اجل ويجب الا ندخر وسعا في بلوغ غايتنا بكل وسيلة ممكنة » •

واطـرق دالبی برهة ، ثم واجهنی قائلا : وهـو یفـغط علی مخارج الکلمات بین شفتیه ، متمهلا عند مقطع منها « ادهب واشتر لی رافن هذا » .

- " ان جاى رجل واسع الحيلة • وانه لمحيط بكل الظروف مقدر لخطواته ، وما أراه الا محتفظا برافن هسدا لفترة ما حتى تهسدا العاصفة فاذا ما استطعنا أن نتصل به أثناء هذه الفترة وعرضنا عليه عرضا مناسبا • • • وبعد أن توقف دالبي عن متابعة الكلام قليلا وأطرق مفكرا استطرد قائلا : " • • • لنقل ١٨٠٠٠ جنيه ، وما عليسه الا أن يعين لنا مكان وجوده - دون أن نوجه اليه أسئلة ما . »

ـ من جای ؟

[۔] من أى من يكون ـ اننى رجل واسع الأفق .

[۔] فی حدود آی مبلغ ؟

ـ ثمانية عشر ألفا ؟

- ويمكنك أن ترفع المبلغ الى ٢٣٥٠٠٠ جئيه ، حسبما يتراءى لك . على أن يكون الدفع بعد التسليم عن طريق أحد البنوك السويسرية . وأربد رافن حيا ، لم يمسسه سوء .

فليكن . وشعرت فجأة بجسامة المهمة الملقساة على عاتقى . وقدرت ما لعمل هسدا الجهاز الذى ألحقت به من أهميسة تتناسب مع ما يغدق عليه من أموال ، ووجهدتنى أتساءل قائلا : « وهل أبدأ بالبحث عن جاى ؟ » ثم شعرت بعد أن ألقيت بسؤالى ، بأنه لم يكن ثمة داع لتوجيهه ، لولا ما كنت أشعر به من هيبة ووجل .

وبعد أن انصل دالبي بأليس ليستفسر منها عن آخر الأنباء بشأن تحركات جاى ، التفت الى قائلا :

- كان آخر مكان شوهد به جاى ، مقهى ليديريرز ، في تمام الساعة الثانية عشرة والدقيقة العاشرة • فلتبدأ من هنا •

فنهضت متأهبا للانصراف ، ولكنه استوقفني قائلا:

ـ مهلا ، فثمة أمران أريد أن أوضحهما لك . أولا ، أنه مصرح لك بمبلغ ١٢٠٠ جنيه سنويا كنفقات خاصة ، وثانيا ، لا تتصلل بي أذا ما ساءت الامور ، لأننى سأتجاهل أمر ما تحدثني به .

- Y -

واجتزت شارع شارلوت في طريقى الى سوهو ، في صبباح يوم من أيام شهر يناير الساطعة شهمسها . وسرت على مهل حتى بلغت مقهى ليديريرز في الوقت الذي حددته لنفسي .

وهناك وجدت جاى ، ببشرته العاجية ، وعينيه الضيقتين ، وشعره الغزير . وكان يجلس الى مائدة في مواجهة مدخل القاعة .

وليس من شك في أنه رآنى عند دخولى ، ولم آكن قد رأيته من قبل، ولكننى عرفته بمجرد أن وقع نظرى عليه . عرفته من كثرة ما رأيته في العرض الخاص طوال شهر بأكمله . لقد كنت أعرف كل شيء عنه ، اللهم ألا كيف أوفق معه في اقناعه بأن يبيع لى عالما في الكيمياء الحيوية بمبلغ ١٨٥٠٠٠ جنيه ،

واتخذت لى مجلسا بجوار المدفأة . وفي الناحية الأخرى من مائدة جاى ، وقع نظرى على وجه هاؤس مارتن الوسيم ، زميله في الفيلم الخاص الذي كنت أتابع مشاهدته بشسارع شارلوت واشسعلت سيجارة ، ورحت أنفث دخائها متأملا حلقاته . ولاحظت أن هاوس مارتن يميل على المائدة ويهمس في أذن جاى ثم يتطلعان الى ناحيتى .

واقبلت الساقية ، فسألتها أن تأتينى بقدح من الشاى وقطعة من فطية التفاح . وبعد أن فرغت من تناول طعامى ، رحت أبحث في جيوبى عن بعض البطاقات التي كنت أحتفظ بها لهذه المناسبة . ولكننى لم أجد من بينها ما يقنعنى بصلاحيته ، فنهضت الى حيث يجلس جاى ، وحييته مقدما نفسي اليه ، ((بيميش ، ستانلى بيميش) فاوما جاى برأسه ، ثم استطردت قائلا ، ((أو يمكن أن ننتحى چانبا لنتحدث على انفراد ؟ اذ لدى عرض مالى أريد أن أطلعك عليه)) . وما كان من جاى ألا أن أخرج حافظته على مهل ، وقدم لى منها بطاقة كنب عليها ((هنرى كاربنتر _ استيراد وتصدير)) ، ثم مد يده ليتناول البطاقة ويعيدها الى حافظته الفخمية ، وبعد أن تأمل سياعته المطجع في مقعده قائلا :

_ اذن فستدعوني للغداء ؟

۔ لا استطیع ذلك • لأن مرتبى متاخر صرفه ، ولم تعتمد حسابات نفقاتی الا صباح الیوم •

ودهش جاى من صراحتى هذه ، وسألنى قائلا:

- ألف وماثنان .
 - ـ في السنة ؟
 - أجل •
- هذا قليل . فلتطالبهم برفعه الى ألفين على الأقل .
 - انى فاعل ذلك لامحالة .

ولم أشأ أن أعارض جاى منذ البداية ، وان كنت لا أعتقد أن دالبي سيوافق على شيء من هذا القبيل .

وانتهى الأمر بأن دفع كل منا قائمة حسابه ، ثم خرج ثلاثتنا اللى شارع واردور ، وجاى يتقدمنا . وكانت الشوارع مزدحمة شانها في ذلك شأن شوارع لندن الكبرى في هذه الساعة من النهار .

وواصلنا سيرنا حتى توقفنا أمام أحد السلاهى الكبرى • وتقدمنا جاى الى الداخسل مبتسسما الهسدا مداعبا ذاك . ولاحظت أن المدير يتأملنى بعين فاحصة ، لأن مظهرى لم يكن ليتناسب مع مظهر الأثرياء من مرتادى حى الوست أند .

واغمضت عينى حتى تألفا الظـالم • وفتحتهما لأجـد على يسار الداخل قاعة بها حوالى الستين مقعدا ومسرحا صفيرا . وعلى مقدمة المسرح أبصرت فتاة بديئة في ثياب داخلية سوداء تنشد أغنية تناسب الساعة الثانية وعشر دقائق من بعد ظهر يوم ثلاثاء بوسط لندن .

وسمعت هاوس مارتن يقول ، « سننتظر هنا » ، وارتقى جاى الدرج القصريب من اللافتة المكتوب عليها « بار باروسا _ للاعضاء فقط » بسهم يشير الى أعلى ، وانتظرنا _ ولم يكن لمن يرانى ليظن أننى مقدم على عملية تبلغ قيمتها . . . ١٨٠ جنيه ، وقرعت الطبول ودوت في القاعة الألحان الراقصة ، وتوالى ظهور الغتيات على خشبة السرح ، ما بين البدينة والنحيفة ، والطحويلة والقصيرة والمكتملة الثياب والعارية ، ولاحظت أن هاوس مارتن جد مسرور بمشاهدة هذا العرض ،

وأخيرا نهض عن مقعده معتدرا بالتوجه الى دورة المياه وحاولت احدى الفتيسات أن تبيعنى برنامجا تذكاريا > فاعتسنرت شاكرا ، قائلا : اننى أفضل ابتياع بعض لفافات النبغ مما تحمله معها وبينما كنت أعاونها في البحث عما أريد > سمعتها تقول لى > « يحسن بك أن تعود من حيث أتيت . ولن تحصل هنا على شيء » . ثم قدمت لى ما أبفى من لفافات التبغ > وأعطيتها ورقة من فئة العشرة شلنات ، فشكرتنى ولم ترد لى الباقى ، ففهمت وشكرتها بدورى > وانصرفت عنى لتواصل مرورها بين صفوف المشاهدين .

وتلفت حولى وتأكدت من أن أحدا لا يراقبنى , وارتقيت الدرج الى الطابق الاول حيث وجدت أن الباب الوحيد مغلق , فواصلت طريقى الى الطابق الثانى حيث وجدت لافتة سطر عليها « خاص له لموظفى الادارة فقط » , فدفعت الباب لاخطو الى دهليز طويل مشيت فيه على حدر , ووجدت به أربعة أبواب على يمين الداخل فقط ، وفتحت الأول منها لاجد خلفه دورة للمياه ، ووجدت على الباب الثانى لافتة مسطرا عليها « المدير » > فطرقته قبل أن أفتحه ، لأرى أمامى غرفة مكنب مستكملة الأثاث وبها جهاز تليفزيون .

ولم يكن بالغرفة أحد . واجتزتها الى النافذة . وتطلعت منها لأجد رجلا بالشارع أمام عربة يد محملة بالفاكهة فعدت أدراجى الى الدهليز ومنه الى الباب التالى الذى فتحته لأجهد أمامى حسوالى العشرين فتاة شبه عاريات يستبدلن ثيابهن . ولم يبد عليهن أن اقتحامى عليهن خلوتهن قد افزعهن ، بل واصلن ماكن فيه من حديث وحركة . فأسرعت بفلق الباب ، واتجهت الى الباب الرابع والأخير،

وفتحته لاجد أمامى غرفة كبيرة مجردة من كل أثات ، قد أحكم غلق نوافذها . وفي منتصف أرضية الفرفة ، ثبتت سبة ألواح من الزجاج السميك . ولاحظت أن الضوء ينفذ منها صاعدا •ن الفرفة السفلى . وتطلعت منها لأرى مائدة روليت مستطيلة . ولم يكن بالغرفة

أحد ، اللهم الا هذا الرجل الشاحب في حلته السوداء ، المهد على المائدة الخضراء ، وكانى به كان ، وهذا ما اتضح فيما بعد : رافن ،

- 4 -

وعدت أدراجي الى الدهليز ومنه الى الدرج هابطا الى الطابق الأول حيث عالجت بابه الذي وجدته مفلقا كما كان عند صعودي .

ولم أكن قد اتفقت بعد على شيء مع جاى . واذا ما كان هذا المرجل هو رافن حقا ، فأنا في حل من النصرف حسبما يتراءى لى . وهكذا أسرعت بالعودة الى الطابق الأعلى ومنه الى غرفة المدير مباشرة حيث حملت الآلة الكاتبة التى كانت موضوعة على مكتبه ، وانطلقت بها الى المعليز ومنه الى الفرفة الأخيرة ، حيث أودعتها أرضية الفرفة . وفي تلك اللحظة رأيت هاوس مارتن بالفرفة السفلى .

وهاوس مارتن رجل قوى البنية فارع الطول عريض المنكبين .

ورأيته يدفع رافن عن مائعة الروليت في سهولة ويسر ويتجه به صوب باب القاعة وحينئذ ، رفعت الآلة الكاتبة وتركتها تسقط بكل ثقلها على أحد مربعات الزجاج الذى نفذت منه وهوت الى قاعة الميسر الكبرى حيث اصطدمت بمائدة الروليت ومنها الى أرضية القاعة . وقمت بنزع بقايا اللوح الزجاجى المحظم من حواف مربعه الذى تدليت منه قفزا الى مائدة الروليت . وفجأة توقف صسوت الموسيقى الذى كان يملا أرجاء المكان ، لأسمع صوتا يردد في المنياع ، الموسيقى الذى كان يملا أرجاء المكان ، لأسمع صوتا يردد في المنياع ، الميداتي وسادتى ، ان الشرطة تقوم بتفتيش المكان ، نرجو الا يتحرك أحدا من مقعده . . . » وكنت في هذه اللحظة قد اجتزت قاعة الميسر الى الباب الذى خرج منه هاوس مارتن حاملا رافن ، وهبطت الدرج الحجرى قفزا ، الى حيث وجدت بابين كتب على أحدهما « خروج

الطوارىء » . فقتحته قليلا لأدى أدبعة من رجسال الشرطة في زيهم الرسمى واقفين على الرصيف . فأوصدت الباب وأعدت الكرة مسع الباب الآخر . وهناك وجدت ثلاثة رجال في منتصف العمر . ورأيت احدهم يفرغ محتويات جيبه فى أحد الاحواض · وآخر يساعد الثالث في تسلقه لنافذة صغيرة . وعدت أدراجي لارتقاء الدرج ألى باب كنت قد مررت به في هبوطي · ودفعته ، فتحرك ببطء لأنه كان ثقيسلا ، ونفذت منه الى زقاق مملوء بالأقفاص وعلب الكرتون ، ورجدت أمامي بابا آخر ، دخلت منه لألتقى برجل في حلة السقاة سألني وهو يحدجني بنظرة فاحصة ، « هل تربد وجبة كاماة ؟ » فأجبته دون تفكي : « الحل) .

- فلنجلس ، اذ أننى لن أقسدم القهوة الا مع الطعسام . سآتيك بطعامك فورا .

وجلست و وأخرجت من جيبى احدى لفافات التبغ التى ابتعتها من الفتهة بائعة البرامج وعندئذ اكتشفت أن في جيبى شيئا جديدا عليه فقد عثرت بعلبة سوداء من ورق الكرتون بها محقنة تحت الجلد ، وتبادر الى ذهنى ما قالته أى الفتاة ، ((عد من حيث أتيت كفلن تحصل هنا على شيء)) وترى ماذا كانت تعنى هذه الفتاة بقواها هذا ؟ وجلست أقلب ألامر وما استجد من أحدنات على كل وجه .

- 2 -

اتصلت تليفونيا بدالبى عن طريق الرقم السرى ، واحطته علما بحقيقة الموقف دون الدخول في التفاصيل ، ولاحظت أنه سر بما أخبرته به ورضي عن جميع تصرفاتني ، بصرف النظر عن التناتج ، التى يرى أنه مسئول عنها ، وأنهى حديثه معى قائلا :

نه ساعهد الیك بمهمة خطیرة فی الاسبوع القسادم • وساتحدث الی الیس بشانها • وارید ان تغیر اوراقك فی هذه الفترة •

وعدت الى منزلى ، وأنا أفكر فى موضحوع تغيير أوراقى الشخصية ، إنه يعنى الكثير : صحور فوتوغرافية ، ومستندات ، وبصمات أصابع ، الى آخر ما يتطلبه ذلك . فهناك مكتب عصامر بالوظفين المدنيين بوزارة الحرب ، الذين ليس لهم عمل غير ذلك على مدار السنة ، وتوجهت في يوم المخميس الى الفرفة الصغيرة في أعلى مبنى الادارة التي يراسها مستر نيفينسون ، وبين يدى هذا الرجل ومن يعملون معه ، تمر أوراق كل موظف له أهميته الخاصة في حكومة جلالة الملك .

وفي هذه الادارة يتفير كيانك وتتبدل شخصيتك ، وتصبح رجلا اخر بجواز سفرك وبشهادة ميلادك وبوئيقة زواجك ، ألى آخر تلك الوثائق والمستندات ، ويستفرق هذا أربعة أيام ، واليوم يبدأ هذا معى ، مستر نيفينسون ،

- ثبت عينيك في آلة التصدوير ، شكرا ، وقع بالمضائك هنا، شكرا . وهنا ، شكرا . بصماتك هنا ، شكرا . وابهالل هندا ، شكرا . والآن جميع الأصابع معا ، شكرا . سنكون على اتصال بك اللقاء !

- 6 -

وفي يوم الاثنين ، توجهت الى شنارع شارلوت في الموعد المعتاد. ووجعت سيارة عند منحنى الطريق تجلس أليس الى عجلة قيادتها . وتظاهرت بأننى لم أرها ، ولكنها نادتنى ودعتنى لمرافقتها . وبعد ان انطلقت بنا السيارة سألتها :

_ الى أين ؟

- _ لاستدراج رافن الى فغ فيها اعتقد •
- ولم أعقب بشيء . لأننى لم أجد ما أعقب به على اجابتها . فاستطردت :
- تأمل هذا وناولتنى لعبة من اللباد تشبه تلك التى دفضت شراءها في نادى العرايا منذ أسبوع ((هناك) وأشارت بأصبعها بينما رحت أتأمل الكلب اللبادى بين يدى ولاحظت أن بعن حشوه يبرز من رأسه ، فتحسسته في كل مكان منه ((لعلك تبحث عن هذا ؟)) ورأيت بيدها آلة فوتوغرافية صفيرة ، ورنت الى بنظرة ساخرة ، أم لعلها كانت تتأملنى ساخرة أثناء بحثى وتأملى للدمية ، فقلت :
 - _ لقد كنت في منتهى الغباء •
 - _ حاول الا تكون كذلك ثانية •

وتوقفنا في طريق جسر فوكسهول خلف سيارة روفر سودا، وسلمتني اليس مظروفا كبيرا منتفخا مختوما بالجمع ، تم فتحت باب السيارة وتبعتها . وتقدمتني الى السيارة الروفرحيث اجلستني بالمفعد الخلفي ، وكان السيائق مرتديا معطف البحيرية الأزرق ، وانطلقت بي السيارة الى المطار . وفي الطريق فضضت المظروف انذى وجدت به جواز سفر بادى القدم ، ومفتاحين ، ورسالة ، وثلاث صور فوتوغرافية صغيرة ، وتذاكر سفر جوية ، على طائرات بي او ايه سي بالمدرجة الأولى . وحددت لي الرسالة مواعيد الطائرة ، ورقمها ، سي بالمدرجة الأولى . وحددت لي الرسالة مواعيد الطائرة ، ورقمها ، المدول بيروت اللولى ١٠٢٠ ، وعن الصيور الفوتوغرافية ورد بها : « الصور الفوتوغرافية ورد بها : « الصور الفوتوغرافية : دافن ، تحرق فورا » ، ولم تكن الرسالة مؤرخة . الفوتوغرافية ، أحرقتها مع الرسالة .

وما أن وصللنا إلى الطار ، حيث تعدث إلى السلائق لأول مرة

قائلا : _ متاعك فى الصوان المعجوز عبر البهو • وغادرت الســـيارة الى حيث وجدت الصوان الحديدى رقم ٢٥، ، وفتحته بالمغتاح الرقم الذى كان معى ، لأجد بداخله حقيبة جلدية ســوداء واخرى زرقاء ، وحملتهما عبر البهو للتغتيش عند الحاجز الجمركى ، وبعد أن انتهيت من هذه الاجراءات ، ابتعت بعض الصحف والمجــلات ، واتجهت الى البــاب المؤدى لأرض المطـار • ووقفت أشــاهد بعض السـافرين وهم يودعون ذويهم ، ووقع نظرى على روس في معطف للمطر ، ولم أرغب في الالتقاء به ، وما أظنه الا أنه كان يبادلنى هذه الرغبة ، لولا أن الازدحام قد اضـطرنا الى مواجهة كل منا للآخر ، فأومأت اليه محييا .

وأعلن صوت الفتاة في المغرباع أن الطائرة ب، ١٩١١، بسبيل الاقلاع ، واجتزنا أرض المطان الى الدرج المتحرك لنصمط الى الطائرة، وكان مقعدى بجوار رجل بدين غليظ العنق بادى الغباء ،

وانطلقت الطائرة بنا أخيرا , وبعد قليل أقبلت المضيفة تحمل الينا المشروبات . وعلمت من رفيق الرحلة أن اسمه جرافيل جيرتى. وتبادلنا الأنخاب . وكان من هذا الطراز المرح من الرجال ، الذى لا يفتأ يثرثر ، فاذا لم يجد كلاما ترنم بمختلف الألحان .

وأعلنت المضيفة قرب وصيولنا الى روما ، قائلة : ان فترة التخلف بالمطائرة أن يبقى المتخلف بالمطائرة أن يبقى بها على ألا يدخن أثناء تموينها بالبنزين .

وعندما حلقت الطائرة في سماء المدينة الخالدة ، عرضت على جارى أن يجلس في مقعدى المجاور للنافذة لينعم برؤية أشهم ونهضت متجها الى دورة المياه التى وجدتها ((مشغولة)) ... ووقفت أنتظر بالمشي الجانبى حيث تودع الامتعة .

وهناك ، أخرجت حافظة رفيفي في السمسفر ، التي كنت قد التقطتها من بين ثنيات جيبه أثناء تبادلتا القاعد فوق سماء روما .

ورحت أنقب بين محتوياتها التي عثرت من بينها على بطاقة أحد الأندية باسم هاريسون ٤ ب.ج.د. ، وبعض الصور الفوتوغرافية . وكان على أن أسرع بتصيفعي لكل ما عثرت عليه قبل أن تكتشف المضيفة غيابي عن مقعدي وتعيدني اليه قبل هبوط الطائرة ، وكانت الصور الفوتوغرافية الثلاث الأولى من صور الجوازات في أوضاع مختلقة ، ولكنها كانت لرجل واحد عرفت فيه ضالتي رافن . أما الصور الثلاث الأخرى فكانت لرجل أسود الشعر ، مستدير الوجه ، كتب على الثلاث الأخرى فكانت لرجل أسود الشعر ، مستدير الوجه ، كتب على طهرها (١١٥٥) ، مع بعض الأوصاف الميزة الأخسري ، وتاملت الوجه المالوف نانية . انني أعرف هاتين العينين . لقد رأيت هذا الوجه من قبل ، ولطالما رأيته في المرآة وأنا أحتلق ، ولحت بخاطري أوج على المدالة صورة جارى في مقعد آخر غير مقعده بجوارى ، صورته في هذه اللحظة صورة جارى في مقعد آخر غير مقعده بجوارى ، صورته وهو جالس الى الباد في نادى المرايا ، عندما وقع نظرى عليه في وهو جالس الى الباد في نادى المرايا ، عندما وقع نظرى عليه في المحظة التي قالت لى فيها بائعة السجائر : « عد من حيث أتيت » ،

وأسرعت باعادة كل محتويات الحافظة الى مكانها منها ، وعدت ادراجى الى مقمدى بين احتجاج المضيفة لتأخيرى في تشبيت حزام الهبوط ، وألفيت جارى قد عاد الى مقعده ، كما لاحظت أن معطفى قد سقط فوق حافظة أوراقى ، وانحنيت التقط معطفى والتى بحافظة جبب جارى تحت مقعده ، وما ان رفعت معطفى ، حتى شاهدت قطعا دقيقا بظهر حافظة أورافى ، قطع محترف يعرف ما هو فاعل ، قطع يكفى لالقاء نظرة على محتويات الحافظة ، واعتدلت في مجلسي مختلسا النظر الى جارى الذى رأيت عينيه الباسمتين من خلال عدسسات نظارته السهيكة .

وما ان استقرت الطائرة بالمطار ، حتى تركتها الى مكتب البريد واستبدال العملة قتلا للوقت ، وهناك سمعت من يناديني قائلا : اهلا ، هاري ٠

ولم یکن اسمی حینئذاك هاری ، غیر آنه من العسیر علی المرء

أَن يذكر في عملى هذا ، متى كان هذا هو السمه . واستدرت لأجهد أمامى سائق السيارة الذي كأن معى في لندن .

وكان يحماق فيما حولنا بعينين حنرتين فاحصتين ، ودر براحته على جانب راسه قائلا : « المقعد ١٩ ٠٠ »

« متعب » . بهذا أسرعت معقبا بلفتنا المصلحية . ثم استطردت قائلا :

- والآن خبرني ، لقد « سرح » حقيبة يدي » •
- ۔ انه فاعل ذلك ما دام هنائك ما يدعو الى هذا بداخلها
 - أو فيها فعلا ما تشير اليه ؟

- كن آخر من يترك الطائرة في بيروت · دع هذه لى - وحملق كل منا في الحقيبة - (لأحملها عبر الحاجز الجمركي) ، وتركئي مودعا) بعد أن علمت بأن رفيقي في السفر كان يدعى فاتسو .

وعدت لأستقل الطائرة ، ولكن فاتسو لم يعد اليها • ونهت مل، جفونى ولم أستيقظ الا بعد أن اجتازت بنا الطائرة ساحل لبنان . وما هو الا قليل حتى هبطت بنا مطار بيروت .

وبعد أن انتهيت من الاجسراءات الجمركية ، أودعت حقيبة ثيابى احدى سيارات الأجرة ، وسألت السيسائق أن ينتظر ، ثم أسرعت أرتقى الدرج الى حيث وجدت « سائق لندن » يحتسي قدحا من القهوة ، وسلمنى حقيبة أوراقى ، ولفافة ثقيلة ، وزودنى بنظرة محذرة ، قبل أن يخبرنى باسم الفندق الذى سأفيم به بالمدينة .

- 7 -

تآمرت المبانى الشاهقة على أن تحجب عنى مياه البحر الصافية، عند ماكنت أطل من بين شرائح الستارة المعننية لنافذة حجرتى . ووقع نظرى عبر الطريق ، على رجلين بدينين ، يجلسان في الناحية

الأخسرى منه ، يتفساحكان وهها يحتسسيان « العسرقى » ليطفئسا ظهاهها في هذه الساعة من منتصف نهار شديد القيظ ، ووقفت اقطع الوقت بالتطلع الى الراحين والغادين من مختلف الجنسسيات ، والى سيارات الأجرة المرسيدس التى لا تتفق بحال ما مع مركبسات الترام العتيقة . وكانت أشعة الشمس تجد طريقها الى الغرفة ١٢٢ التى حجزتها لى الادارة ، لتشعرنى بحرارة الطقس بالرغم من جهاز التكييف الذى كان ينشط لكى يبدد آثارها . وكانت الغرفة جهاز التكييف الذى كان ينشط لكى يبدد آثارها . وكانت الغرفة المتحمام ، مجهزة بكل ما يجعل اقامتى بها مريحة ـ من غرفة الاستحمام الى فريجيدبر الى تليفون بجوار الغراش وآخر في غرفة الاستحمام .

وبعد أن استقر المقام بى ، وأعددت لنفسي قدحا من القهوة ، رأيت أن أتحرى أمر أمتعتى . ووجدت بعد فتح الحقيبة الخاصة بعاجياتى ، أن اليس لم تنس شهيئا ، وبدأت أحب عميل بهذه الادارة ، وفي حقيبة أوراقى وجدت صندوقا صغير الحجم ثقيبل الوزن من القصدير ، مكتوبا عليه (لو . د . /٢١٢/٣١٠ . قنبلة ،) اذن فهذا الصندوق هو ما كانيبحث عنه فاتسو . أما اللفافة التى سلمئى اياها « سهائق لندن » فكانت مظروفا بداخله حقيبة بها مسدس غير عادى مزود بخزينة للطلقات ومعه خمس وعشرون طلقة أضافية ، وجراب جلد للمسدس بحزام يتدلى من الكنف ، وبعد أن فرغت من ذلك ، جاست أحتسى قدح القهوة وأستعرض ما قد أبلغ فرغت من ذلك ، جاست أحتسى قدح القهوة وأستعرض ما قد أبلغ به من أوامر عاجلة : أوامر المحاولة الاخيرة للحاق برافن ، عسالم الكيمياء الحيوية ، قبل أن يصبح بعيدا عن متناول يدنا ، ويختفى بحيث لا نستطيع به لحاقا .

یتدرج الطریق الداخلی من بیروت صعودا الی الجبال ، بین القری الغارقة بین أشجار الزیتون ، و کانها تتشبث بها خشسیة التدحرج علی منحدراته ، و تنظر الی اسفل ، فتجد خلیج سانت جورج المی مرمی البصر شمالا ، و تنطلع الی أعلی لتری قمم الجبال التی

اكنست بالثلوج طوال ستة أشهر من السنة ، وقد رصعت بالزهور والبراعم الصفراء • وما ان يبلغ الطريق ذروة ارتفاعه ، حتى يعود فجأة الى الانحدار ، ليتقاطع مع الطريق المتجه عبر سلسلة الجبال الأخرى ، الممتد خلفها بحر من الرمال الساكنة الخالية من كل مظلام الحياة حتى حدود بلاد الفرس • وعلى امتداد الطريق تقع سوريا بالقرب من تخوم لبنان •

ولم يكن الطريق بالسهل المستقيم ، بل كان ينحدر وينعطف في منعنيات تشرف على الهاوية السبحيقة البعد • وعلى الصخور الناتئة مستترا ببعضها ، يستطيع المسرء أن يتوارى عن الأعين ، ويرى من مكانه هذا الطريق المتد شرقا الى أكثر من مائة ياردة ، وتجاه بيروت الى أكثر من ثلثماية بإردة ، بل وانه ليستطيع من مكانه هذا أن يرى المار بالطريق عبر الجبال بمنظاره المكبر . كما يمكنه أن يتصل بمن شاء من أصدقائه المارين بهذا الطريق في أي اتجاه منه ، الذا كان معه جهاز ارسال ترانزستور . وفي هذا الكان ، في حوالي الساعة الثالثة والنصف صباحا ، كان هناك رجل يقطع وقته بعد النجوم ، ويكاد أن يسقط أعياء من طول انتظاره وتحديقه من خــلال منظاره ، ويكاد معدن جهاز ارساله أن يبعث باشارات الشكوي من أطرافه التي كادت أن تتجمد من شدة برودته ، وراح الرجل يستعرض في ذهنه من يستطيع أن يتصل بهم من أصدقاء لاعفائه من عمله هذا والحاقه بعمل آخر . ولست أأومه على تفكيره هذا أن هو أقدم على تنفيذه وكانت الساعة ٣ ر٣٢ دقيقة صباحا ، عندما رايت المسابيح الأمامية لسيارة قادمة في الطريق الجبلي . وفتحت جهازي لأتبين الحركة على الطريق من التفاصيل التي كان يبعث بها مذيعنا الخاص ألى داابي. وسمعت دالبي يزمجر بعد أن استمع الى الارسال الذي أنبأه بأنه لا يوجد على الطريق الا سيارة واحدة على مسافة أكثر من حوالي ألف ياردة تقريبا ، وأن الطريق خال .

وأخيرا ، رأيت السيارة البونتياك الكبيرة تقترب وهي تتلمس

طريقها بأنوارها الكشافة في الطريق الجبلي الضيق . ورأيت الحزمة الضوئية تنخذ طريقها فوق رأس دالبي . وكان بوسعى أن أتخيله قابعا في مكانه لا يتحرك ، تاركا المقادير تجرى في أعنتها . وخفضت السيارة من سرعتها ، كما قدر لها دالبي هذا . وما ان اقتربت منه حنى نهض واقفا واستقام كتمثال رامي الجلة ، وفذف ما بيده . وكانت قنبلة في حجم قطعتي صابون انفجرت ، بينما استلقى دالبي على وجهه حتى تخطئه شظاياها . ولم تنوقف السببارة ، بالرغم من أننى كنت واثقا من أنها أصابت مستودع وقودها واطاراتها . ورأبت دالبي ينهض ويسرع للحاق بها . وكنا قد اعترضنا يسيارتنا القديمة التي انتقلنا بها من بيروت عرض الطريق . واعتقدت لأول وهلة أن سائق السيارة الهدف قد قتل ، لأنه لم يحاول أن يتفادى الاصطدام بسيارتنا السيمكا ، بل اصطدم بها زحفا الى حوالي الثمانية أقدام . وفي هذه اللحظة بالذات ، كان داابي قد أصبح في محاذاة السيارة . وفتح بابها وسمعت صوت الطلقات النارية . وسمعت صوتا صادرا عن جهساز الاستقبال الذي معى يقسول في ذعر: « ماذا تفعل ، ماذا تفعل ؟ » وخيل الى ، لأول وهلة ، أن السؤال موجه لدالبي . ثم تبينت حقيقة الامر .

فقد كانت هناك سيارة اخرى على الطريق _ ولعلها كانت تتبع السيارة الاولى _ مطفأة الانوار ، أو ربما أقبلت من الطريق الآخر القادم من بعلبك أو حمص . وتأملت امتداد الطريق على ضوء اللهب المتصاعد وكاننا في وضح النهار . وكان بوسيعى أن أتبين رجبل اللاسلكى من السفارة ، وقد وقف يحملق في اتجاهى مبهونا . ولم أر من دالبى الا قدميه تتدليان من باب السيارة المفتوح ، ولاحظت أن سيمون كان يقف خلفه بدلا من أن يستدير حول السيارة لماونته ووددت في هذه اللحظة بالذات لو ذكل غيرى بما عهد الى به تنفيذه. غيرى ممن يمكن مساءلته عما كان من اسراع هــذه السيارة «الناش » بالالتفاف وانطلاقها باقصي سرعتها ، وعن عدم ملاحظتى لها عند

اقترابها من قبل . اننى من تطوع ليقف موقف الراقبة حتى لا أقوم بما كان يقوم به دالبى ـ المستلقى الآن على وجهه فوق مستودع بنزين ساخن بين قوم لن يمدوا له يدا . وعندند فعلت ما كان يجب على أن أفعله ، وما اقتضاه الموقف منى .

وكان سيمون قد تحرك بسيارة دالبى الى الطهريق الرئيسى فى اللحظة التى كنت أزحف فيها من مخبئى . وفي مؤخرة السيارة كان يجلس بنهل الارسال ليحرس أسيرنا الوحيد ـ صاحب الصور التى كان يحتفظ بها فانسو وأحملها معى ، الرجل الذى كنت قد شاهدته مستلقيا فاقد الوعى على مائدة الميسر . وكان دالبى قد نهض ليرى ما حل بالسيارة «الناش» ، بينها رحت بكل ما في وسعى أقاوم ما حل بى نتيجة للرائحة الكريهة المنبعثة من احتراق السيارتين . ووقفت أشاهد ألسنة اللهب المنصاعدة منهما .

وبدأ الظلام يخف حدة في أديم السهاء الشرق، ولاحت في الافق من بعيد أصابع الفجر المتدة الى أطراف السهاء تلمسها في رفق وحنان ، لتوقظ الدنيا من سكونها الذي ران عليها في الساعات الأخيرة من الليل . وبدأت أتبين أشباح القرى على جوانب الجبال ، التي وطأتها أقدام سانت بول ، والتي دنستها جريمتنا منذ قليل .

وأقبل دالبي قائلا: « لعل بعضكم قد كره الأمر كله » • فأسرعت باجابته قائلا: « في أوله فقط » •

وصعد دالبى الى المقعد الخلفى بجوار رافن ، وسمعته يقول، (انى لجد آسف يا سيدى) ، في حزم ورنة صوت ناءمة ، وهو يخرج من جيبه حقنة صغيرة مها يستعمل رجل الأسعاف ، حقن بها الرجل الذى لم يحاول أن يقول أو يفعل شيئا ، ورأيت الرجل جالسا كالمأخوذ من أثر الصدمة ، وانطلقت السيارة بنا ، مارة بحطام السيارات الثلاث ، وعند شتورا ، تركنا طريق بيروت واتجهنا

شمالا الى بعلبك . وشعرت بدالبى يميل الى الأمام مادا يده بنظارة سرعان ما تعرفت عليها قبل أن يقسول : « لقد وجدتها بالسيارة الناش » · ورحت أقلبها في يدى · انها نظارته التي لا يمكن أن تكون لفيره . نظارة فاتسو .

وسمعت دالبى يقول: « انهما من مغابرات البحسرية الأمريكية والسيارة لسفارة الولايات المتحدة . ولعلهما كانا بسبيل القيام بما قمنا به . كان يجب عليهم الاتصال بنا في أمر مثل هدا » . ولاحظ اننى أتطلع بنظراتى الى رافن ، فاستطرد فائلا: « لا عليدك منه ، أنه في غيبوبة » .

وتذكرت في هذه اللحظة رجل البحسرية الأمريكي الذي كان يقتفي أثرى في روما وفي بيروت .

- V -

استيقظنا جميعا في ساعة متأخرة من الصباح ، في « الفيلا » الكبيرة التى قضيينا بها ليلتنا على طريق بعلبك ، وهذاك ازددت معرفة بسيمون الذى علمت بأنه ضابط برتبة ليفتنانت كواونيل ، لم يسبق له أن اشترك في عملية مثل هذه ، وكانت مهمته أن يسهر على هذا الرجل الذى كان محون الأحداث الليلة الماضية ، وكانت الفيلا في حراسة رجلين أرمنيين لم يفاجآ بقدومنا ، مقامة في خير مكان يصلح في حراسة رجلين أرمنيين لم يفاجآ بقدومنا ، مقامة في خير مكان يصلح لنا ، بين الأشجار التى تخفيها عن الأعين .

ورأيت الفرصة سائحة ، لأستفسر من دالبى عن بعض ما أريد. سألته عن جاى قائلا:

۔ ما هى حقيقة أمر جاى ۔ واين هو من كل هذه الأحداث ؟ ۔ انه يديرالعمل ويدبر الأمر ۔ أو قل على وجه التحديد :

انه يدفع لمن يعهد اليه بها يريد · انه يدير وحدة ابحاث هئساك في أرجو . هل تعرف أين تقع ؟ »

- أجل ·
 - ـ أين ؟
- َ ان مقاطعة آرجو تقع في شمال سويسرا ، حيث يلتقى نهر الآر بنهر الراين ، فلنعد الى ماكنا نتحدث عنه ، عن وحدة الأبحاث، ما هى طبيعة عملها ؟
- ـ ان بالوحدة مجموعة من علماء الاجتماع ومن أطباء الأمراض العقلية ومن علماء الاحصاء ، الذين تمولهم مختلف المؤسسسات الصناعية لتجرى أمر ما يسمونه « بالبيئة الركبة »
 - لقد اختلط الأمر على .
- ان هذا لا يدهشنى منك . فهم لا يعرفون ماذا يفعاون على وجه التحديد . غير أننى اسستطيع أن أوضع وجهة نظرهم بقس ما أحطت بها . ولنضرب مثلا بالصناعة في ألمانيا . فكلنا يعرف أن الصناعة في ألمانيا كانت دائما في حاجة الى الأيدى العاملة ، مها حدا بالقائمين على أمرها الى اسستيراد هذه الأيدى من كل بلد أوروبى تقريبا وكانت الننائج موفقة . بمعنى ، أنك اذا أتيت بعامل غير مدرب من بلاد اليونان مثلا ، لم يسبق له أن مارس العمل الآلى ، وكلفته بالعمل في مصنع ألمانى ، فانه سرعان مايلم بنواحى عمله كغيره من العمال القادمين من دسلدورف . هل تنابع حديثى ؟
 - بكل جوارحى ولكنني لم أتبين بعد الشكلة •
- مهلا . فلم أبلغ من حديثى بعد موطن الداء . فاذا ما قام ألمانى غربى ببناء مصنع في اليونان واستخدم فيه عمالا منها ، فان هؤلاء لن يتعلموا شيئا على الاطلاق . ومن هنا تتبين أثر البيئة بصورة واضحة . ومن ذلك أيضا يمكنك ان تدرك كنه نظرية البيئة الكونة . وهى نظرية لها أهميتها بالنسبة للصناعات التى تقام في بلاد زراعية .

- ويمكن أن تكون لها أهميتها بالنسبة لنا أيضا.
 - لدينا ملف مستكمل عن هذا الوضوع .

وهذا كل ما تطبوع به دالى من معلومات عن جاى . غير أن موضوع جاى لم يكن كل ما اردت أن أستفسر منه عنه . فخضت معه في حديث عن المخابرات وعن بعض تقاريرها ، وعن غير ذلك مها كان يشغل بالى من شئونى الخاصة ، منتهزا فرصة جولتنا الصباحية في جوار الفيلا ، وبين آثار الرومان القديمة وبقايا معابدهم .

وسألته عن مستر آديم مضيفنا ، فلم يبخل على بشيء عنه مها يرضي فضولى ، لقد عرفه دالبى عن طريق روس ، الذى عرفه هو الآخر عن طريق مكتب مقاومة المخدرات الأمريكى (فرع البحر الأبيض المتوسط) . وفى اعادة توزيع خدمة مخابرات حلف الأطلنطى عام الموسط) ، أصبح فى خدمة بريطانيا . وهو فى حوالى منتصف العقد السادس من عمره ، لطيف المشر كريم الخصال ، خفيف الروح . كما أنه خير خبير بالجياد وبالخمر ، واسع المعرفة بالمنطقة الممتدة من تركيا شمالا الى بيت المقدس جنوبا . وهو رجل طموح يتجر فى كل شيء .

ووجدنا أديم في انتظارنا بحديقة الفيلا . وجلسها الى مائدة حفلت بكل ما لله وطاب من الاطعمة الشرقية ، في قاعة طعام غلبت عليها دوحه الشرقية وطابعه الريفي ، ووقف الرجل الكريم على خدمتنا ، غير مدخر وسعا في العمل على داحتنا ،

وجلست مع أديم في حديقة الفيلا نتجاذب أطراف الحديث . وكانهو المتحدث في الواقع وأنا المستمع . وأطال في الحديث عن عما الذي قتل أسدا بحربة وسمى من بعد « حامد قاتل الاسد » وراح يفاضل بين قتل الوحوش بالحراب وبين قتلها بالنار •

واقتربت بنا ساعات الظهيرة من لحظات المساء ، عندما مالت الشمس في الافق تمس بأشعتها الحمراء أشجار الليمون التي كانت تحجب عنا لقاء السماء بالارض . ورأينا أن نتناول عشاءنا على السماط

المتد على حثمائش الحديقة ، في هذا الجو الشاعرى الذي ضاعفت من شاعريته الحان موزار المنبعثة من راديو قريب .

وبعد ثلاثة أيام ، عاد الينا جون من بيروت ومه جهاز لاسلكى كبير . وقد استفرق منه اعداده للعمل حوالى الثلاث ساعات ، تمكن بعدها من الانصال باحدى المدمرات التى كانت تجوب المياه الاقليمية للبنان .

اما سيمون ، الدعى ، المسمى بينتر ، شأنه شأن غيره في هذه العملية ، فقلما كان يترك غرفته بالطابق العلوى . وبعد أن تمالاتصال بالمدمرة ، لم يمانع بينتر في أن يتناول الاسير معنا طعامه . رافن ، الاسير الذي بدا أنحل عودا وأضعف بنية مما كان عليه منذ يومين ، عندما أخرجه دالبي من السيارة البونتياك في تلك الليلة المشهودة . وكانت ملابسه متسخة بعض الشيء ، يدور بعينيه فيما حوله بعصبية بادية القلق ، كما لاحظت أنه يكثر من النظـر ناحية بيئتر ، وما ان بلفا من هبوطهما نهاية الدرج حتى توقف ضيفنا عن متابعة سيره .وبدا كأنه يدرك مايستبد بنا من فضول واهتمام بدوره الذي يقوم به . وتوقفنا عما كنا فيه من حديث ، وران علينا سكون مطبق ، اللهم الا وتوقفنا عما كنا فيه من حديث ، وران علينا سكون مطبق ، اللهم الا

واقبل علینا محییا بتحیة المساء • وقام دالبی الیه یاخد بدراعه فی رفق الی مائدة العشاء • وسمعته یفول له : « شـــکرا علی عطفك یا دالبی ، شكرا علی ترفقك بی » .

ولم يكن حديث المائدة الا سسطحيا حول الطقس او الحديقة او الخيل ، وعجل أديم بتناول عشائه ، ليسرع الى جهاز الاستقبال لالتقاط آخر الأنباء عن تحركات المدمرة على طول الشاطىء اللبئانى • ومن بعدها يذهب الى حيث كانت الطائرة الهيلوكوبتر ، ليطمئن على أن كل شى، بها على ما يرام •

وجلسوا تحت القبة الزجاجية للطائرة متأهبين للرحيل ٠٠ فاتخذ

سيمون بيئتر مجلسه الى جانب رافن فى المؤخرة • وجلس دالبى فى المقعد الأمامى بعد أن تلقى من أديم بضع كلمات عن كيفية استعمال أجهزة الطائرة • وبعد خظات اهتزت الطائرة لتملأ الوادى بصوت آلاتها تردد صداه جنبات الجبال ، فيزداد قوة وزمجرة • ورأيت زائرنا الذى تحملنا فى سبيله كل هذا العناء يرفع يده محييا • فقلت له بينى وبين نفسى : « وداعا أيهسا الرجل التعب ، وداعا يا رافن » • ثم اتجهت الطائرة نحو البحر ، وعدت أدراجى الى المنزل •

- **** -

ان شهر أبريل في لندن ، من الشهود التي لا تستحب الحياة فيها ، وبالذات في يوم الثلاثا، الذي كان على ان أتوجه فيه الى شيفيلد لمقابلة بعض من أعمل معهم • وقد طال اجتماعنا الذي لم يتقرد فيه الا القليل عن تنسيق أنظمة تبادل السجلات والاتصال • وشغلت في يوم الخميس بمراجعة بعض المعلومات الخاصية بعملية جاي • وبينها كنت منهمكا في عملي هذا ، أقبل على دالبي محييا • ولم أكن قد رايته منذ ليلة دحلته بالهليوكوبتر • واستفسر مني عن أحدوالى ، فشكوت له من ناخير بعض مدفوعاتي ونفقات سفرى • فضحك قائلا :

- اذن فلتقبل دعوتی لتناول الغداء حتی تکف عن الشکوی و وذهبنا الی مطعم ولتون و ونعمنا بوجبه شهیة و ودار الحدیث بیننا حول العمل ، لأن دالبی لا یرید آن یضیع وقتا و فاستفسر منی عن آخر معلوماتی عن جای و فلما أحطته علما بخطواتی ، قال لی وهو یناولنی کأسا من الشمبانیا :
- يلوح لى أننا نسير نحو غاية واحدة وان اختلفت سبلنا · ولم أنس هذا اليوم ، بطعامه الشهى ، وملاحظة دالبي التي كانت

تعنى الكثير • وقد لاحظت بعد قوله هذا ، أنه تعهد تغيير موضــوغ الحديث •

وفي حوالي الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الجمعة التالي ، قدمت اليس الى غرفة مكتبي تحمل قدحا من النسكافيه ، ونظرة ماكرة ، وملفا أخضر جديدا ، ثم التقطت القلم الحبر الذي استعرته منها من اسسبوع مضى ، وعادت من حيث أتت ، وتركت ما كان بين يدى من أوراق ، وشرعت في فحص الملف الجديد ، الذي كان مسطرا على الزاوية اليمنى منه بأحرف كبيرة لا/٦/٦/١٤١ • وكان ما بالملف من أوراق ، يخص رجلنا جاى • واطلعت باللف على تاريخ حياة جاي بالجامعة وعدم استكهاله لدراسته بها • ثم تتابعت خطوات حياة جاي العادية حتى يونيو سنة ١٩٤٢ ، حينها جند باسم كريستيان ستاكوفسكي ، بمخابرات الجيش البولندي ، المتخاذة لندن قاعدة لها • وقام برحلتين الى جنوب بولندا ، انقطع في الثانية منهما الاتصال به • ثم عاد ليظهر ثانية من المجهول في القاهرة ، واتصل بالجيش البولندي في ديسمبر سنة ١٩٤٢، الذي بعث به الى لندن لتلقى دراسته التدريبية في هورشام • وفي هذا الوقت كانت سلسلة الخلايا التي كان يعمل بها في بولندا قد أبيدت ، وتبين من الأوراق احتمال اشتراكه مع الألمان في بعض الأعمال • كما دلت بعض صور المستندات المؤرخ رسالة منها بتاريخ مايو سنة ١٩٤٣، على أنه كان له ضلع في الاعتقالات التي تعرض لها العاملون معه في الخلايا • ولقسبه كانت الخلايا السرية البولندية مختلفة الاتجساهات السياسية ـ ولما كان جاي عضوا في القوات المسلحة الوطنية (وهي جماعة يميئية متطرفة) ، فيرجح اشتراكه مع أبفهر الألماني ، مما جعله يبدو بطلا في نظر جيش التحرير المسيطر عليه الشيوعيون • وكل هذه نواح متعددة الجوانب له •

ثم تتصل الحلقات في سبتهبر سنة ١٩٤٥ ، بعد انقطاعها ، ليعود سبتاكوفسكي باسم الجاويش البولندي فوك الى بولندا بين الجنود المطلق سراحهم من معسكرات الألمان ، ويحصل في وارسو على وظيفة متواضعة

فى الحكومة الشيوعية الجديدة ، تتيح له الاتصال بهيئة المخسابرات الخاصة بالجاسوسية الصناعية ، وبالذات ما يتصل منها بحركة اعادة ترميم الانتاج الألمانى لصالح روسيا · وبالملف مذكرة ترجح انه كان يعمل فى عام ١٩٤٧ لحساب وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، التى كان لها كثير من العملاء فى أوروبا فى تلك الفترة · وفى عام ١٩٥٠ ، يهرب فوك الى انجلترا ، حيث يندمج فى المجتمع البولندى اليمينى ، كما كان ضالعا مع الحكومة الشيوعية ·

وبينها كنت ارتشف قهوتى ، تنقلت بين اوراق الملف حق وجدتنى امام آخرها واكثرها اهمية ، وهى مذكرة خاصة باعمال الجاسوسسية التجارية عن كل ما يعقد من صفقات هامة ، وقد ورد بهده المذكرة ما يدل على ان فوك او جاى لا يتسلم من الحكومة الروسية مبالغ من المال بصورة منتظمة ، وان دخله كبير ، ولكنه متعدد المصادر مختلف المقادير ، وعادت اليس فى الوقت المناسب ، وكانها قدرت ما يستغرقه اطلاعى على الملف من زمن ، لاننى كنت قد فرغت منه وطويته فعيلا ، وبعد ان القت على محتوياته نظرة فاحصة عابرة حتى تطمئن الى انه لم ينقص منها شىء ، تابطت الملف متاهبة للانصراف ، قلت لها وهى فى طريقها الى الباب :

۔ الیس ۰۰

فتوقفت واستدارت لتواجهنی مستفسرة ، وقد رفعت حاجبیها وهی تسمعنی مستطردا :

ـ « ان تصرفاتك مكشوفة وسلوكك معيب ، وهى كاناقتك تماما ، ليست على ما يرام » •

ولكن هذا لم يحرك منها ساكنا ، بل انصرفت في غير مبالاة •

اتصل بى دالبى يدعونى للاجتماع به فى الساعة الثالثة ، بقاعة مجلس الادارة بالطابق الأول • وألفيت دالبى واقفا بجوار مدفأة كهربائية تحت صورة كبيرة يقرأ صحيفة الجارديان • وكان تشيكو جالسا الى المنضدة الكبيرة التى تتوسط القاعة • وبعد دقيقتين تقريبا أقبل بينتر ، الطبيب ، وتبادلنا التحية •

واتخذت لى مقعدا من المقاعد المنتثرة حول مائدة الاجتماع • وما ان اكتمل عقدنا ، حتى احتل دائبى مقعده وراح يتفرس فى وجوهنا واحدا بعد الآخر • وتلفت معه اتأمل الحاضرين • فهذا هو بينتر پسنواته الأربعين ووجهه النحيل يجلس الى يمينى • وكان يجلس فى مواجهتى ضابط بالجيش ـ بحسب ما كان ـ لأن هذا ما كان يدل عليه مظهره • وكان يجول بعينيه بين الحاضرين فى ترقب وحدر • وكان يضع يديه فى احكام على حافظــة أوراقه فوق مائدة الاجتماع ، وكانه يخشى ان يتسرب منها سر مما تحتويه • انه الكابتن كارسويل كما علمت فيما بعد • وهو قادم الينا من ه ٣٨٠ ببعض البيانات الاحصائية الهامة ،

وبدأ كارسويل يدل بها لديه من معلومات • لقد كلفت مصلحته بعدد بورجيس وماكلين ، بعمل احصدا دقيق عن الأشخاص المفقودين وتحليل هذه الظاهرة تحليلا ترابطيا • واستأذن كارسويل في البد بعرض الأرقام ، ثم التعقيب عليها فيما بعد • وراح يلقى على مسامعنا الكثير من التفاصيل المثيرة عن بعض الحالات ، وبعض اوجه التشابه بين بعضها البعض ، في اتقان الحاذق لعمله ، المدرك كما يقول ، الملم بكل التفاصيل •

وبين لنا كيف كان اختطاف رافن حلقة من سلسلة اختطاف الشخصيات الحيوية الهامة لأمن البلاد • وكيف دبر جاى أمر اختطافه

وكيف ساوم ليعيده • وقرر بأن هذا الحادث كأن آخر حوادث الاختطاف • ثم حكى لنا عن بعض الاجتماعات المشبوهة التى تعقد فى لندن وفى بريطانيا، مما لم يستطع احد منا أن يحيط به احاطة مستكملة النواحى •

كان من رأى دالبي أن يعمل كارسويل معى • فأعددت له غرفة خاصة تسعه هو والجاويش الذي يعمل معه ـ موراي ، واصسطحبته معى الى الترزي ليعد له ولساعدته ما يلزم لهما من ملابس مدنية • وكانا يعملان ينشاط من الساعة التاسعة صياحا الى السادسة مساء ، ثم يعودان الى منزليهما في فولهام وبروملي • وكنت أمر بمكتبهما من آن لآخر ، لأرى الى أي حد انتهت يهما أبحاثهما ، ومدى توفيقهما في الامساك بطرف الخيط الذي يرشدنا الى السر في هذه اللقاءات المريبة لبعض المرموقين في بريطانيا • وقد لاحظت انهما يسيران في تحرياتهما على هدى بعض العوامل المستركة التي لها دلالتها _ كحيازة المعنيين لسيارتين ، او قضاء عطلات طويلة ، او القيام بزيارات الأمريكا ، أو لشبهال افريقيا ، الى آخر ما هو من هذا القبيل مما يتصل بامكانيات الفرد وحقيقة دخله • كما لاحظت أن كارسويل يتحرى الدقة في جمع كل ما يتصل بهؤلاء القوم من النواحي السياسية والاجتماعية ، وحتى الصحية منها • وكنت أدون من الملاحظات ما يعنيني أمره وأضعه أمامي على مكتبى • وبينها كنت جالسا الى مكتبى أتأمل هسله البيانات أقبل دالبي يحمل تقريرا مقدما مني يضعه أمام عيني قائلا:

ـ استمع الى ١٠ اننى لا استطيع أن أرفع هذا التقرير أو ادعه بهر ٠

وما أن ألقيت نظرة على التقرير حتى أدركت أنه خاص بما تكلفته ثياب وحاجيات كارسويل وموراى • وأن ثورة دالبي ترجع ألى ما لاحظه

من اسراف في تلك الشتريات • واستطرد من ذلك الى مناقشة نفقاتي الخاصة في المطاعم وفي غيرها من الماكن الترفيه واللهو • وهدا هو شانه دائما في كل ما يتصل بالمصروفات الحكومية • وطال الجدل بيننا ، واستشاط دائبي غضبا عندما عارضت وجهة نظره • ولما وجدني مصرا على رايي ، معارضا له فيما يمس من يعملون معى قبل ان اهتم بالدفاع عن نفسي ، بدأ يتهيأ للانسحاب حسب الخطة الموضوعة ، على حد تعبيرات الجيش ، وانتقل الى العديث في صميم العمل ، بلهجة ذالت عنها كل حدة وبنبرات هادئة • وتبسط معى في الحديث ، حتى أنه قال لى انه سيعهد الى بتولى امر الادارة كلها • ولما لاحظ اننى دهشت لتصريحه هذا قال :

ُ ـ لن یکون هذا لاکثر من ثلاثة اشهر • ومع ما ینقصك من تعلیم کلاسیکی ، الا آننی واثق من استطاعتك التغلب علی هذا النقص •

وكان جادا فى قوله ، لأنه عكف بعد هذه المقدمة الى احاطتى علما بكل صغيرة وكبيرة مما يتصل بعملنا ، واشتركت معه اليس فى ذلك ، وعلمت منه انه مسافر فى اليوم التالى ، ولكنه لم يصارحنى بشى عن طبيعة مهمته ، ورايت أن أحصل منه على معلومات أكثر عن جاى ، فقال لى :

۔ ستجد کل شیء عنه فی الملفات • راجعها واطلع علی ما فیها من وثائق ومستندات تنل بغیتك •

- كنت افضل أن أسمع منك رايك فيها .

وفى الحق ، اثنى كنت اريد أن أوفر على نفسى عناء مراجعة هــله الملفات • ولم يجد دالبي بدا من أن يعطيني فكرة عامة قائلا :

- عندما استقر جای فی لندن سنة ۱۹۵۰ ، کان یعمل جاسبوسا خساب الامریکیین و ولم یکن یعنینا من آمره شیء ، لان نشساطه کان قاصرا علی النواحی الاقتصادیة والصناعیة و وکان قد اتخذ که مکتبا فی شارع براید و ولم یلفت انظارنا الیه ، الا فی اعقاب حادث بیرجس

وماكلين • وكنا قد تلقينا مذكرة تدعونا الى مساءلته عن هذا الموضوع • وفي الواقع اننا لم يكن لدينا أية فكرة عن اقعامه فيه من قبل •

ـ وما هو مصدر تلك المذكرة ؟

_ لم تكن المذكرة محررة أو مسجلة • وتصادف اننى لم اكن متوليا الأمر حينئذ • فاذا ما اهتديت لهذا المصدر ، نبئنى بذلك فورا • الموضوع يعد فى مقدمة المسائل المستغلقة على ، والتى لم اتمكن بعد من اماطة اللئام عن كنهها • ومع ذلك ، فيجب أن تعلم بأن له أصدقا، فى المستويات العليا •

والمستويات العليا هذه لا تعنى عند دالبي الا شيئا واحدا ، فقلت : _ في الحكومة ؟

- في مجلس الوزراء • وحدار أن تردد شيئا من هذا القبيل • اذ ليس لدينا أي دليل على ذلك • كما أنه لا يوجد بين أيدينا ما يدل على أن له علاقة بأية عمليات غير مشروعة منذ عام ١٩٥٠ • لقد قمنا بتحرى امر تحركات جاى ابان حادث بيرجس وماكلين • وليس من شك في أن تحركاته كانت موضع شك وريبة • فعندما كان ماكلين بالسفارة البريطانية بالقاهرة ، زار جاى القاهرة مرتين • وبتاريخ ٢٥ مايو سنة ١٩٥١ ، شوهد ماكلين مع بيرجس في سيارة اتجهت بهما الى سوثهامبثون. وأقلعت بهما الباخرة الى سانت مالو • وثبت أن جاى كان معهما في هذه الرحلة • ثم كان أن عاد جاى دونهما • وبعد ذلك بفترة ليست بالقصرة • ورد من أحد البنوك السويسرية أمر بدفع مبلغ ألف جنيه لكل من أسرتي الرجلين باسم والدة زوجة ماكلين • وبعد قليل ورد امر دفع بمبسلغ ٢٥٥٠٠٠ جنيها محولة من البنك السويسري الى بنك س • هيلينك في لندن باسم مستر أرسطو • وارسطو هذا هو جاي • وليس ثمة غيار في أن يتلقى رجل يعمل بالتصدير والاستيراد مبلغا مثل هذا ، ومهما يكن من أمر ، فما أظن الا أن نشاط جاى الخفى يعد سلعة رابحة مرتفعة القيهة •

- ـ وبعد ؟ ان هذا هو عين ما نحن بسبيل تقصى آثاره فى هـــده المرحلة الحالية •
- _ وهل كان رافن الذي قمنا باختطافه في بعلبك ، حلقة من سلسلة هذا النشاط ؟
- ـ لقد كان عالما من علماء الكيمياء الحيوية بمركز الأبحاث الحربية في بورتون وجدير بك أن تعلم بأن قسم الصحافة بادارة الأمن العام يحظر نشر أية أسماء بالصحف ولن يتكرر ما حدث حول اختفاء بيرجس وماكلين في الصحف أو في مجلس العموم
 - _ وهل تعتقد أن فيما يقوم به كارسويل علاقة بنشاط جاى ؟
- ۔ کلا ، فانه وان کان چای یجنی الکثیر من مثل هذه العملیات ،
 الا انه اکثر فطنة من ان یسرف فیها ، واعتقد انه یقوم باختطاف احد
 کبار العلماء من آن لآخر عندما یرید ان یحقق لنفسه صفقة جــزیلة
 العطاء ، مها لا یجعل لعملیاته النطاق الواسع الذی یجری علیه کارسویل
 ابحاثه ، دع کارسول جانبا الآن ، حتی یضع یده علی شیء ثابت معین
 یکون جدیرا بان تضعه موضع الاعتبار ،

ونهض منصرفا • وسبسمعت وقع أقدامه على الدرج الخلفى ، مع صوته الآمر لتشيكو أن يعد الفيلم الى يربد أن يشاهد عرضه قبل رحيله • وجمعت حاجياتي الخاصة ، وانتقلت الى غرفة مكتب دالبي •

ووجدت بالغرفة كثيرا من الصحف اليومية وبعض صور الضباط المثبتة الى الجدار في اطاراتها وأسفل النافذة وجدت جهاز التسجيل الخاص الذي يعتز به دالبي . لقد كان دالبي شابا طموحا مقداما يغيض حيوية ونشاطا ، ومن خير من صادفتهم في حياتي من رؤساء . ولم يكن الرجل ممن يدعون لأتفسهم الغضل في كل شيء ، بل كان يرحب بالفكرة الجديدة ويناضل في سبيلها بعد ان يقتنع بها ، ثم ينسبها الى صاحبها مشيدا بغضله . وكان هذا الجهاز هو مفتاح ما تتمتع به منظمتنا من شهرة ، لأنه كان ييسر لمنا سبيل الحصول على سلسلة من العلومات التي لا تتهيأ لغيرنا . كما كان الجهاز يعد

لنا من هذه المعلومات ما ينسقه آليا بكفاية أعلى مما يستطيعه العقسل البشرى • وكان دالبي يعتز بهذا الجهاز الذي جعل منه شخصسية لها قدرها في انجلترا •

وكنت بهكتبى فى تهام الساعة العاشرة والنصف من صحباح يوم الأحد ، ولم يكن من عادتى أن أتوجه الى مكتبى أيام الآحاد ، ولكننى كنت اريد أن أقوم بهراجعة بعض المعلومات ألهامة ، ووجدت صحف الأحد فى مكانها المعهود ملقاة فوق صحف السبت ، كما وجدت جهاز التسجيل وقد رفع غطاءه ، وجلست الى مكتب دالبى الفخم، أتامل المفاتيح الكهربائية المنصدة الألوان المختلفة الاتصالات ،

ورفعت عينى عنها ، لأجد اليس واقفة بالباب تحمل قدحين من القهوة الساخنة . وتقبلت منها قدحى شاكرا ، مستفسرا عن سبب حضورها الى الكتب في يوم أحد ، فابتسمت قائلة :

- اننى استطيع ان انتج ضعف ما انتجه في غسير ايام الآحاد الهادئة .

وبعد أن أُصلحت من شأن الفرفة ، وأعادت كل شيء الى مكانه ، الجهت الى ناحيتي سائلة :

- اوتزمع تشغيل جهاز التنسيق الآن ؟
- ۔ الی حد ما ، ثمة نواحی لا أفهمها منه ، كتجميع الصور مثلا •

وسلمتها حزمة منها ، فتناولتها مبتسمة وهى تقول : _ سأحاول تشغيل جهاز الائتقاء والفرز .

وداب كارسويل على مواصلة ابحاثه ، وعكف على تتبسع حسوادث السطو والسرقة وتقصى طبيعة اتصالها بأعمال الجاسوسية ، ومحساولة الربط بينها ، والحق أقول ، أننى لم أستطع من زباراتى لكارسويل أثناء عمله ، أن أفهم شيئا مما يجريه من احصاءات أو يخطط له من بيانات ، ودعوته في يوم الثلاثاء ، لتناول مشروب بمكتبى ، ولاحظت أنه مبتئس الى حد ما ، وبعد أن احتسى ثلاثة أقداح من الجعة على

التوالى ، بدأ يروى لى الكثير عن فترة طفولته بالهند ، ويحكى لى قصة شبابه كضابط أرستقراطى في الجيش بتوجيه من والده . وما أن توفي والده ، حتى تقدم بطلب الانضمام الى مكتب الاحصاء التابع لجيش الهند في كلكتا ، ولم يكن طلبه هذا عن رغبة أو ميل لهذا الطراز من العمل ، بل كان بدافع من مجرد الرغبة في تغيسير أسلوب حياته الماضية من قبيل التمرد على نمطها .

وبعد عامين قضاهما في عمله هـنا ، بدأ يتلوقه ويدرك مـدى ماللاحصاء وجمع البيانات من أهمية لأسلوب العمل كله .

وبعد أن تطرق بنا الحديث وتشعب في نواحى العمل ، راينا ان نكتفى بهذا القدر ونعود الى منازلنا ، ووقفت بالنافذة أتامل المارة في معاطفهم المبتلة من مياه الأمطار المتساقطة . وما أن استدرت منهيا للانصراف ، حتى دق جرس التليفون الاحمر _ تليفون الطوارىء _ ورفعت السماعة لأتلقى الكالة التالية :

الاتصال العسكرى الكابتن كيتل ، على الخط . الخط و الكابتن كيتل ، على الخط و العسكرى الكابتن كيتل ، على الخط

۔ نعم یا کیتل ؟

وادركت لتسوى أن ما كنت أمنى نفسى به من امسسية هادئة بجوار المدفأة مع كتابي التاريخي المفضل ، قد ذهب وولى .

- 11 -

ـ لقد تلقینا مكالمة من مركئ شرطة شوردتش ، لهسا غرابتها • انهم یحتجزون شخصا ما ، اثر حادث من حوادث الطریق • اعتقد ان سیارته قد خالفت قواعد الرور •

- ۔ اجل ، وبعد ؟
- _ وسأله الكونستابل عن رخصة قيادته وغير ذلك ...

- ـ كيتلى ، ارجوك أن تدخل في الموضوع .
- حسنا یا سیدی . لیس لدینا عن جونی السیارة هذا ایة معلومات . اعنی انه لیس له بطاقة بیضاء ، ولکن له اخری خضراء ، شانه فی ذلك شأن من هم موضع الشبهات ، دون آن یکون لهم سجل اجرامی .
 - ۔ اعرف هذا . ولكن خبرنى كيف عرفت أن له بطاقة خضراء ؟ هل صارحكم باسمه ؟
- كلا يا سيدى اليك ما كان تفصيلا ان جيونى هذا ، يرتدى حلة كبير مفتشى الشرطة بالعاصمة . ولحسن الحظ ، فقيد سبق للكونستابل العمل بمكتب التسجيل الجنائى لمدة عام ، فتعرف عليه وتبين أنه مدع زائف •

ومن هنا كان اهتداؤنا الى بطاقته الخضراء المظهسرة بمعرفتكم على انها من البطاقات التى لها اهميتها وأسبقيتها وهكذا اتصلت بك تليفونيا ، للاستفسار عما اذا كنا نحيط شرطة شورديتش علمسا بان له بطاقة خضراء ؟ وهل تريدون أن نحتجزه لحسابكم ؟

- استمع الى ياكيتلى ، بلغ شرطة شورديتش باحتجاز هدا الرجل ، وفى الواقع اننى أريد ان يقوموا بتفتيشه بكل دقة ، وتجريده من كل ما معه ، وعليهم أن يبعثوا حدادين عن حبسوب السيائيد ، التى يحتمل أن توجد معه ، وقل لرئيس الشرطة هناك أنه مسئول شخصيا عن سلامة هذا الرجل ، وأنه يجب أن يودعه سجن المركز بمجرد أن تنتهى من مكالمتك معهم ، والا يغفل عن مراقبته ، وعل رؤساء هذا الكونستابل أن يتخذوا اللازم لترقيته فورا ، أنه جدير بهذه الترقية لجراته أن اعتقال مفتش شرطة ليس بالعمل العادى ، وقل لهم أننى قادم اليهم فورا ، وسأكون بمركز الشرطة قبل السابعة والنصف ،
 - ـ سأعمل على تنفيذ أوامركم فورا .
 - شكرا . ولقد أحسنت باتصالك بي مهما تكن النتائج .
 - ۔ شکرا لك يا سيدى •

واعدت السماعة الى حاملها ، ثم اغلقت جهاز التنسيق ، وقمت بضغط المفتاح الأبيض الذى يحول المحادثات التليفونية الخارجية الى جهاز التسجيل . ودعوت موراى لمرافقتى ، وغادرنا الادارة الى شارع توتنهام كورت حيث وجدنا السيارة في انتظارنا . وانطلقت بنا السيارة مسرعة الى مركز شرطة شورديتش •

وعادت الأمطار لتهطل غزيرة ، ولعت الطرقات بمياهها تعكس اضواء مصابيحها • وما أن توقفت السيارة بنا ، حتى قفزنا منها وتبعنا السائق الى داخل مركز الشرطة • واستقبلنا السرجنت الذى تلقى من كيتلى ما اصدرته من أوامر قائلا:

ے کل شیء علی ما یرام یاسیدی . فما أن تلقینا أوامرك حتی قمنا بتنفیدها فورا . ان رجلیك الآخرین ما كادا أن یودعا سیارتهما ... لقد كانا فی غنی عن هذا العناء ...

ـ رجلای الآخران ؟

وشعرت وكأن يدا تعتصر قلبى عصرا وادركت لتوى إنه ما كان لى أنا أيضا أن أكلف نفسى عناء المجىء . وعندما أقبلنا عليه وجدناه مستلقيا جثة هامدة لا حراك بها .وكان رجلا قوى البنية ، وسيما ، فى حوالى الخامسة والثلاثين من عمره ، وكان يبدو أكثر سنا عما كان عندما رايته من قبل ، أنه هاوس مارتن الذى لم يعهد له مكان بين سجلاتنا ، والذى يسقطه الآن أتباع جاى من عداد رجالهم ، فى تمها الساعة ٧ و ٣٣ دقيقة من مساء هذا اليوم ، وأمرت باستدعاء الكونستابل الذى القي القبض عليه ، فأقبل واستفسرت منه عن كل ما حدث ،

وعاد الى الكونستابل فيناى ، بتقرير مفصل عما جرى . وكان السرجنت الواقف مستندا الى باب السجن لا يفتا مرددا ، (أو بعد خدمة تبلغ الخمسة وثلاثين عاما ... » وكانت ثبرات صوته مرتفعة تختلج بما يعتمل فى نفسه من قلق على مآله ومستقبل معاشه ...

والتفت الى الكونستابل أستزيده ايضاحا . وعلمت منه بأنه كان يشك في أمر هاوس مارتن لأول وهلة ، ولكنه لم يكن ليستطيع

التثبت من ذلك ، لو لم يكن قد خالف قواعد المرور واصطدم بحامل الاشارة الضوئية . وأنه يشك في أن الرجل كان قادما من أحد المنازل المجاورة .

وطمأنته على ما قد تسفر عنه ظنونه من نتائج ، وبعثت الثقة في نفسه ليصارحنى بكل ما يجبول في خاطره . وقلت له أنه ليس مطالبا باثبات كل ما يدلى به في هذا الشأن . قلت له :

۔ لنفترض الآن أن هسدا الرجل كان قادما من أحد المنازل فى هذا الشارع • فلتستعرض الآن هذه المنازل • هل بوسسعك أن تذكر كل شيء عنها ؟

- أجل ، يا سيدى . فلكل منزل من هذه المنازل ما يميزه . والقليل منها لا يزيع ستائره عن نوافذ حجراته الأمامية الكائنة في واجهة هذه البيوت .

ـ ان ما یعنینی من أمر هذه المنازل ، هو ذاك المنزل الذی حل به مستاجرون جدد في السنة أشهر الاخبرة . منزل يتردد الناس عليه ولا ينقطع زواره عنه ، أناس من الخارج وليسوا من أهـل الجبرة ، هل يوجد من بين هـده المنازل منزل يمكن أن يدخل الناس اليه من باب « جاراجه » مثلا ؟

- يوجد منزل منعزل عن غيره من المنازل ، لأن المالك اشترى الموقعين المجاودين له من كل جانب . وبديهى أن يكون المنزلان الكائنان في الجهتين محصودين من جانب واحد فقط . وهما رقم . المذى تملكه مستر ادواردز ، اما المنزل المحصود بينهما فلست أذكر شيئا عن شاغليه ، ولا عن لافتة (اللابجاد) قد ثبتت اليه .

اذن فسأبتاع هذا المنزل الكبير بكل ما حوله •

واتصل كيتلى تليفونيا بمركز الشرطة ، وما أن علم بما حدث حتى أقام الدنيا وأقعدها . وسمع موراى صوت كيتلى يرتفع قائلا في حدة ، (أو قتل في مركز الشرطة بالذات ؟ أو بلغ الاشر هسنا

الحد؟ » وكان يكفى أن يوجه اليهم ضابط اسكتلنديارد هذه الملاحظات التي ارتفع بها صوته ليقض مضاجعهم .

وامرتهم باتخاذ كل ما يلزم لرفع ما قد عساهم أن يعثروا عليه من بصمات أصابع للرجلين المشار اليهما ، مع موافاتي بأوصافهما التي يمكن بها التعرف عليهما ـ وان كنت واثقا من أنهم لن يوفقوا الى شيء من هذا القبيل ، لأننى كنت أعرف كيف يعمل جاى ومدى ما يتخذه من احتياطات في كل خطواته , ولم يكن تعرف الكونستابل على هاوس مارتن بحكم سابقة عمله بمكتب السجل الجنائي الا مجرد مصادفة لعب فيها حسن الحظ دورا كبيرا , وسالت الكونستابل فيني ، الذي كان يقف في انتظار أوامرى ، أن يرشدني الى الموقع على الخريطة , وبعد أن قام بذلك ، سألته أن يرشدني الى حيث يمكنني أن اتصل تليفونيا بجهة ما دون أن يزعجني أحد .

وسرعان ما كانت غرفة الاستعلامات باستكتلنديارد على طسرف الخط الآخر . « هنا مركز شرطة شورديتش . أديد الاتصال بالسئول عن قسم ٣ ه أمين عام . المتحدث من جهاز الامن السرى . » وبعد قليل تم الاتصال بينى وبين كبير المفتشين بانبورى ، الذى كانت لى به سابقة معرفة ، فاغنانى عن تلك المقدمات المعروفة ، ودخلت في الموضوع قائلا أننى أريد أن يبعث الى بثلاثين ضابطا ، على أن يكون خمسة منهم على الاقل مسلحين ، وعلى أن يستقل هؤلاء أربع سيارات عادية ، وأن ترود احدى هذه السيارات بجهاز لاسلكى وسلم بخطاف.

- واصدر أمرك الى مكتب الصحافة بأننى لا أريد نشر أى شيء عن هذا الموضوع • وكذلك الحال بالنسبة للاذاعة • هذا كل ما في الامر • وعليك بالاتصال بي بمجرد قيام الحملة - فلنقل في مدى نصف ساعة •

⁻ كلا ، ليس أقل من ساعة .

ـ نصف ساعة كما قلك . انها عملية من عمليات الأمن التي

لها طابعها الخاص . اذا لم تستطع أن توافيني بما طلبت فورا ، فما عليك الا أن تصارحني بذلك حتى اتدبر أمرى .

- اذن فسأحاول أن يتم هذا في مدى اربعين دقيقة .
- ـ شكرا ١٠ الى اللقاء ٠ وكانت الساعة السابعة وثمان وخمسون دقيقة مساء .

وارتقیت الدرج الی الطابق الاعلی . ووجدت مواری متكنا علی منضدة ، والی جواره الكونستابل والرقیب واحد المفتشین . واستفسرت من الرقیب عمن عساه یكون المفتش . وبعد آن عرفت منه حقیقة شخصیته ، لأن الرء لا یلدغ من جحر مرتبن ، قمنا باعداد العسدة لما نحن مقبلون علیه ، واتفقنا علی كیفیة توزیع القسسوات ، واخبرتهم بانهم یمكن آن یشتركوا معی ، بشرط آن تظل العملیة سرا مفلقا علی الجمیع ، وانهم سیتعرضون لاقصی عقوبة نص علیها قانون اذاعة الاسرار الرسمیة ، اذا ما تسرب شیء من تفاصیل هذه العملیة .

وفی تمام الساعة الثامنة وواحد وعشرین دقیقة ، دق الباب ، وأقبل شرطی لیملن قدوم احدی سیارات البولیس الحربی ، قائلا ان السائق یسال عن مستر مورای ، وقال مورای أنه رأی أنه یحسن بنا أن نستعین بسیارة من سیارات المیدان المرزودة باللاسلکی • وذهبنا ـ أنا ومورای ـ لنتاکد من امکان الاتصال لاسلکیا باسکتلندیارد •

- 17 -

يهتد شارع اكاشيا العريض الرطب في أحدا تلك الأحياء التى تقع على مشهدارف لندن ، ولم تكن مبانيه لتعلو كثيرا عن اطراف الأشجار الغروسة على جانبيه ، ولم تكن لترى من نوافذ منازله الا الفدو الغافت يتسلل من بين ستائرها القدرة ، لينضم الى أضهوا الشارع التى تشارك مصابيح المنازل خفوتا •

وانتظرنا حتى اتخد كل من معنا من الرجسال مكانه المين له وأبصرت بباب يفتح ، وينفد منه ضوء خافت يكشف عن رجل راح يرفع الأغطية عن السيارات الواقفة ليتبين سيارته التيبجب أن يستقلها من لوحتها النحاسية . وأخيرا اهتدى الى بغيته وانطلق بها في الشارع الذي عاد الى سكونه واظلامه ثانية بعد مفادرة السيارة له ...

وكان للمنزل رقم ٢٤ بابان كبيران يصل بينهما ممر نصف دائرى من الحصي الدقيقة وشاهدت باحد نوافد الطابق الأعلى في واختا يشع منها وكانت سيارة الميدان الزودة باللاسلكى في وضع اقرب من غيرها من سيارات الشرطة الأخرى التي جئنا بها وقد جلس بها الشرطى الحربي ليلتقط ما يبلغه به رجال الشرطة المختبئون بالحديقة وبعد أن أعطانا الاشارة المتفق عليها بيننا وأينا أنا وموراى أن ننفذ عنوة من احدى النوافد الجانبية وعلى رجل الشرطة المسكرية أن يقوم بوصف ما نبلغه به من اشسارات شوئية والمعالية والمع

واقتربنا من النزل حدر أن يسمع وقع أقدامنا على الحصي . وساعدنا على ذلك تحليق طائرة في هذا الوقت بالذات غطت ما عسساه أن يكشف عنه وقع أقدامنا و وكنا نهشي على حدر بجوار الجسدران متجنبين مساقط الضوء . وتأملت ساعتي الضوئية ، فوجدتها الساعة من موقعنا . وشعرت يحركة أحد رجال الشرطة في الناحية الأخرى من موقعنا . وكانت الأمطار قد كفت عن التساقط ، وسكنت الرياح، وران على المكان صمت مطبق وسكون مخيم . ثم قطع حبل هسدا السكون صوت قطار يدوى عن بعد . وشعرت بيد موراى تلمس ذراعي كاشارة للبد، بالعمل ، وعالجنا النافذة بما لدينا من معدات خراعي كاشارة للبد، بالعمل ، وعالجنا النافذة بما لدينا من معدات خراعي استجابت لنا وقفز من خلالها موراى الى الداخل . وبعد أن استعاد توازنه تناول مني غدارة الجيش وتبعته الى الداخل .

واستطعت أن أتبين على شعاع القهر النافذ الى ظلمــة الـكان ،

ائنا في غسرفة صسغيرة صفت بها المقاعد والأرائك القسديمة المريحة ، ورايت على احدى الأرائك بعض النيساب المتناثرة ، وتقسدمنى موراى الى الردهة ، ووجدنا بعض الأوراق مبعثرة أسفل الدرج ، واستنتجت من ذلك أن المنزل خال ، ومع ذلك فقد واصلنا تفتيشنا حتى الساعة ٩٠٢٨

وقررنا العودة من حيث أتينا ، بعد أن تركنا شرطيين لحراسة المنزل ، وأخبرنا رجال القوة بأن حفلة الميسر التي كان مزمعا اقامتها قد الغيت في آخسر لحظة ، وذلك حتى لا يتسساءل أفراد القوة عن طبيعة هذه الحملة التي لم تنم ، واصسطحبت موراي الى حيث تناولنا قدحا من القهوة .

- 14 -

تحدثت الى موراى في كل موضوع ماعدا العمل . وكان موراى من هؤلاء الرجال الأكفاء المطيعين للأوامر الذين يمكن أن يعتمد عليهم رؤساؤهم ، وجلسنا نتبادل الحديث في شتى الموضسوعات الحربية وفي قوانين حمل السلاح ، وكان موارى يحاول أن يجاريني ، ولكنه لم يحاول أن يخفى اعجابه بواسع اطلاعي ووفرة معلوماتي ،

ولما قفلنا راجعين الى المنزل رقم ٢٤ ، كان رجسال تحقيق الشخصية قد فرغوا من رفع بصمات الأصابع وتصسوير ما كانوا بحاجة الى تصويره • ووجدنا أن « تشيكو » و « روس » قد وصلا الى المنزل ، وكان روس ينفث على منصبى الجديد ، ولعله قدم للظهور على مسرح الحادث عن طريق كيتلى • وكان كل من تشيكو وروس ينقبان في العديقة عند عودتنا الى المنزل • وبعد أن التقينا ، اتجهنسا الى المنزل •

ولم نجد بالمنزل أو بأثاثه شيئًا غير عادى ، على الأقل فيما

يتخلق بالطابقين الأرضي والأول ، اللهم الا من هذه الغرفة المستة بالطابق الأرضي لتكون مكتبا ، وفي ركن منها كشك تليفون خشبى بدلف زجاجية . كما وجدنا بالغرفة بعض الكتب والمؤلفات ، اكثرها من مجلدات القواميس والغسرائط وأدلة الطرق والسكك العسديدية وما شابهها ، ولم نجد بصوان الملفات الاحسوالي المائتي بطاقة بيضاء ودخلت الى البهو ومنه الى العرج أرتقيه الى الطوابق العليسا ، وتركت موراى وتشيكو بالطابق الأرضي يواصلان بحثهما وتنقيبهما ، وتبين لى من تجوالى بالطوابق العليا أن شاغلى هذا المنزل قد حرصوا على اخفائه عن الأعين ، وجعلوا منه مبنى أقرب ما يكون شبها بقفص سدت منافذه لا يستبين الرائى ما بداخله ، كما عثرت على حجسرة أقرب ما تكون بنوافذها وتجهيزها الى غرف السجون ، التى لا تتيح لشاغلها أن يرى أكثر من صفحة السماء في أى اتجاه . وخرجت من هذه الحجرة الى دهليز انتهى بى الى باب خشبى ضخم يؤدى الى غرفة كانت فريدة في بابها .

فلقد كانت من تلك الغرف الغسيحة _ حوالى ٢٠χ٠ قدما وكان في منتصف الغرفة صهريج معدنى ضخم _ حوالى ٨χ٨ قدما وه ارتفاعا > وبه من المياه حوالى الأربعة أقدام . وسمعت صوت تشيكو الذى كان قد لحق بى من ورائى يقول : ((تلك ظاهرة جديرة بالنظر)) . وأقبل على الصهريج بدور بعصاه في مياهه . واستغرق اخراج مابالصهريج من أشرطة تسسجيل ومعدات ، ما يقرب من الساعة .

ولما هبطت الدرج الى الطابق الأرضى ، وجدت مصحورى السينما الخاصة بالادارة ، واثنين من رجال معمل تحليل أسكتلنديارد، يقومون بعملهم ، فآثرت أن أترك لهم الموقع لبضع سحاعات يفرغون خلالها من عملهم .

وكنت في منزلى مع خيوط الفجر الأولى ، وصوت الطيور التي

صحت على صبح رطيب . وبعد أن أعددت قدحا ساخنا من القهوة واللبن ، آويت الى فراشى متعبا يثقل النوم جفونى .

واستيقظت من نومى بعد أن تقدم بى الصباح ، ونهضت لأغتسل ولمازلت مجهدا لم أستوف حقى من النوم ، وأسرعت بارتداء ثيابى ، وغادرت منزلى على عجل في سيارتنا الخاصة التى وجدت بها نسخة من الصحف الصباحية ، التى تصفحتها في السيارة ، وراجعت الاعلان الدورى الذى اتفقنا على نشره مع دالبى بالإصطلاحات الرمزية بيننا في باب المسرح من الصحف اليومية ، لنحيطه علمسا بها يجرى في غيابه ، وقد تركنا لأليس هذه الهمة التى كانت تجيد القيام بها مع ما تجيده من مهام أخرى .

وتوقفت بى السيارة عنسد اسكتلنديارد ، وكانت غرفة رئيسها السئول فسيحة التنسيق ، وبعد أن تبادلنا التحية ، دعائى للجلوس وقدم الى سيجارة تلو الأخرى ، لأنى تركته يسترسسل فيما كان يشكو منه ويتلمر دون أن أقاطعه ، أنه يشكو من قلة موارد الادارة المالية ، بينها تغدق الحكومة على منظمتنا من الاموال ما ليس له حد ، مها يعرقل أحيانا جهود اسكتلنديارد ونشاطها ،

وبعد أن فرغ من شكواه ، وهدأ نفسا اذ نفث عما يجيش به صدره ، وجسدت الفرصة سانحة لنطسرق في حديثنا أبواب ما قدمت من أجله ، وطال بنا الحديث في العمل ، وفيما كان من تصرفات بعض من يعملون معى ومعه .

- 18 -

كان يوم الشهلاثاء يوما من أيام الصيف الشهودة • صحوت فيه من نومى على نباح كلب الجران . وتصفحت بريدى الخاص : فهذا خطاب من قسم الاشتراكات بمجلة تايم يدعونى للاسراع بارسسال

قيمة الاشتراك قيل أن تفوتني فرصة العمر ، وتلك رسالة من خالتي الكبرى تدعوني بها لزيارتها بجنيف ، وهذا خطاب من وزارة الحرب يؤكد اعفائي من العمل بالجيش ، ويوجه نظرى الى أننى أصبحت مسلمولا عما يقع منى من مخالفات بمعتفى قانون الأسرار الرسسمية الذي أتولى عملى الجديد بمقتضاه .

وما أن استقر بى المقام فى مكتبى بالنظمية ، حتى انهمكت فى مراجعة بعض الوثائق السرية للفاية ، ومن بينها بعض المستندات عن الكيمياء الحسربية والأفلام الشديدة الحساسية ، واتضح لى من بعض هذه الأوراق أن وزارة المدفاع الأمريكية واثقة من أن بعض مهندسي شركة الطيران « بى أو ايه نى » يقوم بهذه العملية ،

وقمت بالتأشير على هذه الأوراق بما يفيد تكليف ((الفرع الخاص)) باتخاذ اللازم . وأقبلت على اليس تنبئني بأن ضابط استعلامات اسكتلنديارد قد اتصل بها مرتين ليستفسر منها عما هو فاعل ازاء ما وصل الى علمه من أن الصحافة لديها فكرة عن موضوع المنزل دقم ٢٤ . ولما الحت فيما عساها أن تجيبه به قلت لها الار عليه أن يخبر الصحف بأن الأمر بين يد أحد قضاة المحكمة العليا واحد الوزراء واثنين من كبار رجال الصحافة . وأننا سنوافيهم بكل ما يستجد من تطورات في الوقت الناسب » .

- سمعا وطاعة يا سيدى .

وتلقيت التقرير الشامل عن المنزل رقم ٢٢ من المختصين .
والقيت عليه نظرة : « كان باللنزل آثار أقدام وبقع ، يمكن أن تكون
بقع دواء قديمة » . و « عن بصمات الأصابع كان منها الكثير غير
المروف ، ولم تزل الادارة المختصة توالى أبحاثها في هذا الشأن »،
وكان على أن ألتقى بروس في تمام الساعة الثالثة ، وقد
اصبح هذا اللقاء من مقتفى المسيات منصبى الجسديد نيابة عن دالبى •
ويعثت في طلب بعض الشطائر والحلوى ، وبينما كنت أتناول هذه
الوجبة الخفيفة ، اقبل تشيكو ليضع على مكتبى فيلم ١٦ مم ، وليقف

منظرا اتاحة الفرصة له ليدلى بها لديه · ولكنثى لم امكنه من ذلك ، واكنفيت بأن أومآت اليه برأسي شاكرا ، متشاغلا بها أمامي من أوراق ، فلم يجد بدا من أن ينصرف كارها ·

وجلست أحدق النظر فيما أمامى من أوراق ، مستعرضا مادون بها وما كان من أحداث ، ولم استطع أن أربط بين كل ذلك لأخرج بدليل قاطع على مالجاى من يد وعسلاقة بما نحن بصدده مما يشفلنا أمره .

وكنت في حيرة من امرى ، هل أواصل أبحائى وتحرياتى في موضوع هذا المنزل ؟ ولكن على أى أساس ؟ وقررت أن أتبادل الرأى في ذلك مع روس لاتبين منه ما أذا كانت أدارته تواصل خطواتها في هذا السبيل من عدمه ، ونهضت متجها ألى النادى الصغير الذي يؤمه روس في شارع جيرمين ، حيث وجدته قد سبقنى أليه بنصف ساعة ، ولم تكن هذه الاجتماعات الاسبوعية لتستغرق منا أكثر من عشر دقائق نستعرض فيها تقدير مخابرات الجيش الذي يرفع الى مجلس الوزراء ، ونتبادل خلالها الرأى في النفقات المشتركة بين الادارتين ، وبعد أن دعائى ألى كأس من المارتينى ، وقدمت اليه سيجارة أشعلتها له ، بدأ الحديث قائلا :

۔ الحق اقول لك ، ان تقريرنا لم يعد ، ان ســـكرتيرتى تقوم بكتابته الآن .

ولم اعقب بشيء ، وآثرت أن ألوذ بالصمت ولا أحرجه كما كان يحرجنى عندما أتأخر في اعداد تقريرى ، لأننى كنت أديد أن أعرف منه شيئا عن خطواته في موضوع المنزل دقم ١٤ ، وكنت أعرف أيضا أن سبيل المبادرة المباشرة مع دوس سبيل لا يجدى ، بل قد يكون عكسيا . وسمعته بعد قليل يقول لى ، ولعل ذلك كان منه لأول مرة منذ أن تعارفنا :

- انك لم تزرتي بسكئي التواضع . اليس كذلك ؟ لفد أصبح

جديرا بزيارتك ، وبالذات حديقته الجميلة ، التي تشعرك باتك في الريف ،بين اشجاره وحقوله .

واستطرد في حديثه عن تفاصيل مابذله من جهد في سسبيل تنسيق حديقة منزله ، وتشعب به الحديث ليبدأ من أيام خدمته كضابط صغير بعدن ، الى الحديث عن زوجته ، ومن بعد عن ولده الذى أوشك على الانتهاء من دراسته الثانوية ليلتحق بالجامعة ، ثم عرج الى الحديث عن سنوات عملنا معا وأنه كان يعتز بى كعضو منتج في ادارته ، وأنه كان يود لو واصلنا عملنا معا ، وأننى حققت الأمال المقودة على في عملى الجديد وبرهنت على كفايتي وجدارتي به.

وكان هسدا التبسط في الحديث معى ، وذاك الاطسراء الذي يغدقه على ، اكثر مما كنت أتوفع • واستبدت بي الدهشسة وجلست مستمعا لا أحير جوابا ، محاولا أن أستبين السر في هذا التحول المفاجيء ، وفجأة سمعته يغير موضوع الحديث قائلا:

- ان سفر دالبى وقيامك بادارة العمل نيابة عنه وتوفيقك في ذلك ، كان موضع ملاحظة من السلطات العليا . ولقد سسمعت بشيء من هذا القبيل من السكرتير الخاص لأحد الوزراء ، لقد بدأ رجال القمة يتحدثون بالكثير عنك ويطرون نشاطك .

ـ لقد كانت لك جولاتك أنت الآخـر . وكانت لك مواقفك . المشهودة في الكشف عن كثير مما يدور في الخفاء بالشرق الأوسط .

ـ وكان بوسعى أن أقـوم بأكثر من هـاد لو تيسر لى من الامكانيات ما هو أوسع وأشمل ، وأعتقد أنك تستطيع أن تقوم بأكثر من ذلك لأن أمكانياتكم ليس لها حدود ،

۔ ولكن ليس لهذا الموضوع ملف خاص لدينا ، وقد تيسر لكم هذا اللف ، وهو أساس لا يستهان به .

۔ هذا صحیح ، من هنا كان بوسعك أن تشترى منى هذا اللف لو كنت من الأجانب ، أليس كذلك ؟ أن لديك من الوسائل

ما يعينك على ذلك . أن هذا الملف يمكن أن يصبح في حوزتك في مقابل مبلغ مناسب .

۔ هل تعنی أنه علی ادارتنا أن تشتری هذا الملف من ادارتكم ؟
د قد ببدو لك هذا الأمر شاذا . أننی أدرك ذلك . أنه أجراء غير طبيعی ، وما كنت لأقسام علی عرض مثل هذا الامر علی أحساد

۔ الروس مثلا

غيرك ، أو على جهة أخرى مثل ...

وهنا تجهم وجهه ولعت عيناه غضها ، وهو يجيبنى محتجا :

ـ كنت بسبيل ان أقول مشهل البحرية قبل أن تقاطعنى و وما دمت قد اخترت لنفسك ههذا الاسلوب الوقع فى تفهكيرك و فما أظن أن دالبى لوكان في مكانك بمتبع هذا الاسلوب الصبيانى في تفهمه لعرض مثل هذا ، أن لى لشأنا معك عند عودته .

ورایت آنه قد احسن اختیار الفاظه واجاد التعبیر حتی شعرت امامه بصغر شانی کا اتجه آلیه تفکیری عندما سقت آلروس مشسلا ، وانه تعمید آن یذکرنی باشسسارته الی دالبی ، باننی لست باکثر من قائم بعمله آثنا، غیابه ، وانه کال لی الصساع صاعین عندما نفد اسلوب تفکیری بانه اسلوب صبیانی ، لیدکرنی باننی یجب آلاینسینی منصبی المؤقت قدلی نفسی ، وتمالکت نفسی وانا اصارحه قائلا :

- استمع الى ياروس ، دعنا نتحدث بصراحة ، انك بحاجة ماسة لمبلغ من المال لسبب ما ، وأنت على أتم استعداد لبيع بعض العلومات فى سبيل الحصول على هذا المبلغ ، غير أنك لن تبيعها لأمثال الروس والصينيين ممن هم في أشد الحاجة اليها ، ولكنك تتلفت حولك باحثا عن مشتر لا يضار ضميرك ببيعها اليه ، ولا يعنيك بعد ذلك ماهو فاعل باللف ، أيحتفظ يه لنفسه قاعدة لعمل مجيد يقوم به ، أم ، من انك تعرض للبيع شيئا لا تملكه ، على شخص لم تحبه . ان لدينا ستمائة من الملفات المفتوحة التى لم تتم فصولا ،

وبودى لو أصبحت هذه الملفات ٥٩٩ ، حتى ولو ام يكن في ذلك ارضاء لأحد .

وأتيت على ما تبقى في كأسي من شراب ، ونهضت منصرفا دون أن التفت الى الوراء . ولكننى كنت أستطيع أن أتخيل روس وهو يشد على غليونه بين أسنانه .

- 10 -

وخرجت الى شارع بورى لأستنشق هواء نقيا ، بعد أن جثم على صدرى جو النادى الثقيل ، وضيقى بهذه اللحظات التى قضيتها مع روس ، لطالبا كنت أضيق ذرعا بهولاء الناس من طراز روس ، وكنت أنقم على نفسى أذا ما تبسطت فى حسديث معهم ، ولطالبا كان يلذ لى أن أشتبك معهم وأختلف .

وما أن جلست الى مكتبى ، حتى اقبلت اليس تنبئنى بأن كيتلى قد اتصل بى تليفونيا ، وأنها أخبرته بأننى سأكون بقاعة السينما الخاصة بوزارة الحرب فى تمام الساعة الخامسة ، « حيث تشهاعرضا خاصا هناك » .

فأومأت برأسى موافقا ، وقلت لها ان تقرير روس فى طريقه الينا وأن عليها أن تتولى أمره ، وترفقه بتقريرنا ، والتقطت ملفين من أحد أدراج مكتبى قائلة : « لا تترك أدراج مكتبك مفتوحة بعسد ذلك ، ولا تستعمل اصطلاحاتك العسكرية ثانية في عملك هنا » ، وولتنى ظهرها منصرفة ، وشيعتها بهلاحظتى التى تستفزها ،

ولما وصلت الى وزارة الحرب ، ودلفت الى حيث توجد قاعة العسرض السينهائى الخاص ، وجدت جاويشا من البسوليس الحربى واقفا ببابها • كما وجسدت كارسويل وموراى وروس ينتحسون جانبا

فى ركن منهمكين فى حديث هام كما بدا لى • وكان منضما اليهم رجل من المدنيين ، قوى البنية عريض المنكبين أسود الشعر . والى جانبه كان يقف تشيكو ، الذى كان يتجاذب اطراف العسديث مع ميجور من قدامى الضباط .

وبدا لى أن روس هـو القائم على أمر هذا العرض ، وحيالى عند قدومى وكأننا لم نلتق منذ أسابيع • وبعـد أن اكتمل عقدنا ، وجه الينا روس تعليماته التالية :

ـ لن يذاع مع هذا الفيلم اية معــلومات ، ولكننا نرحب بكل ما تبدونه من ملاحظات ومعلومات عما تشاهدونه .

ثم أوما الينا بالدخول الى القاعة قائلا لرقيب الشرطة العسكرية:

لا يسمح بالدخول لغير هذه المجموعة .
 وسمعت الرقيب يقول :

ـ سيدي !

فالتفت الينا روس قائلا:

آه ٠٠ آسف ايها الزملاء ٠ التدخين ممنوع كما تعلمون ٠

واطفئت الأنوار بالقاعة ، وجلسنا نشاهد عرض بضع مسات من الاقدام لفيلم صامت مختلف الصور والحركة ، وكانت معظم اللقطات لرجال تتراوح اعمارهم بين الثلاثين والخمسين وكانوا حسنى البزة وفى اثم زيئة ، ولم نستطع ان نبين من اوضاعهم ، عا اذا كان التصوير بعلمهم او بدون علمهم ، وما ان اضيئت الأثوار ، حتى تبادلنا جميعا نظرات ساهمة ، ثم سالت روس ، « انى لكم هذا الفيلم ؟ اعنى ، ماهو موضوعه ؟ » ولم أكن انتظر أن أسمع منه صدقا ،

ـ الحق أقول لكم ، اننا لا نعرف على وجه التحديد زمن التصوير , ونحن نظمع في المزيد من هذه اللقطات , هل من أسئلة أخرى ؟

وكانى به يريد أن يلقى في روعنا أنه قد أجاب عن سلوالى اجابة شافية مقنعة وران على الحساضرين صمت مطبسق ، لم يعقب خلاله احد على تساؤل روس ولم أجد جدوى من أعادة الاستفساد لأننى كنت أعرف النتيجة مقدما . وآثرت الانصراف في سكون . وغادرت مبنى وزارة الحرب الى أسكتلنديارد القابلة كيتلى .

ورایت کیتل واقفا بالدهلیز • وکان یبه دائما اکبر من سنه ، رقیق الحاشیة ، مما لا یجعل له مکانا بین رجال الشرطة ، وکان دقیقا فی عمله وفی مواعیده وفی تنفیده لما یصدر الیه ویصدر عنه من اواهر • وما آن رآنی حتی اسرع للقائی ، وکان یحمل علبة للافلام تبلغ ثمانی بوصات عرضا ، وتقدمنی الی غرفة •کتبه ، واوصدت الباب بعدا دخولی ،

وبعد أن قدم لى قدحا من الشهاى ، وقام باشعال غلبونه ، واستقر بنا المقام ، بدأ الحديث في العمل قائلا :

- هذا المنزل رقم ٢٢ . لقد قام رجال الشرطة بكل ما يمكن أن يطلب منهم القيام به ، بصمات أصابع وبقع دهاء ... الى آخر ذلك من جمع الآثار والمتعلقات التي تنصل بمسرح الجريمة ، وقمنا باجراء التجارب والتحليلات والمضاهاة ، ولكننا لم نستطع أن تهتدى الى شيء .

فقاطعته قائلا:

۔ کیتلی ، ان وقتك ثمین ، وكذلك أنا ، اننی أعرف جوبیع هذه التفاصیسیل ، ان كل ما أود أن تخبرنی به ، هو فیم كانت رسسالتك التی بعثت بها ،

۔ مجرد اجراءات .

وأدركت انه لا جسدوى من أن أحصسل منه على ما أبغى ، وأن على ما أبغى ، وأن على مجهودى الخاص ، وأن أتحرى كل شيء بنفسى ، لأن التعساون مفقود بين جهات الاختصاص المختلفة ، بنساء

على ما ترمى اليه كل جهة من نسبة الفضل اليها • لقد اسهب فى سرد تفصيلات ما قام به رجاله من بعث وتنقيب بالحسديقة وبالمنزل ، حتى اسماء الكتب لم يضن بها على . ولكنه ضن على بطرف الخيط الذى يمكننى به أن أتبين معالم دربهم الذى يسلكون . حتى علبة الأفلام التى كانت بيده ووضعها أمامه على الكتب ، لم يرغب في ان بطلعنى على شيء عنها ، ولما سالته عنها راوغ وداور ولم يشسف غليلى .

غير اننى وفقت فى ان اتبين من حديثه ، ان الفيسلم الذى عرضه روس علينا بوزارة الحرب ، كان من بين ما عثر عليه فى المنزل رقم ٢٤ • ولما ادرك كيتل منى هذا ، اسقط فى يده ، وانتهارت فرصة ارتباكه ، والقيت عليه محاضرة فى ضرورة التعاون بيننا ، وصارحته بان شيئا ما لن يخفى على ادارتنا ، وأن التعاون معنا قد يكون أجدى من التعاون مع مخابرات روس .

ويخيل الى أن الرجل اقتنع بمنطق حديثى . أذ أنه بعد أن أطرق قليلا ، التفت الى بنظرات متسائلة عما أديده منه على وجه التحديد . ولما كنت في غنى عن أن يردف نظراته بأقواله ، فقد رابت أن أعفيه من ذلك قائلا :

- اربد أن أعرف كل شيء عما عثرتم عليه بالمنزل أو بالحديقة . ورأيته يخرج شريط التسجيل من علبة الافلام ويثبته في جهاز التسجيل الكبير الموجود بالمكتب وانبعث من الجهساز صسوت مبهم تجرد من كل معنى ، سجل عن بعد في حيز مغلق .

_ اصوت حيوان هذا ، ام هو ترجيع لرئين معدني ؟

- انها أصوات بشرية كما يقولون .

وحاولت أن أتبين من هــنه الاصوات المنبعثة من جهساز التسجيل طبيعتها . هذا النباح والعويل ، وذاك البكاء الغزع ، وهذا الثفاء والنهيق والعواء النائح ، لم يكن من اليسسير مجرد الاستماع اليها ، وليس فقط تحسديد معالمها وكنهها ، فقلت لكيتلي « لم أسستطع أن

أتبين من كل هدا شيئا ، ولكننى ساحمل الشريط معى واعيد الاستماع اليه عسى أن أخرج من ذلك بنتيجة ما ؟ ولم يمانع كيتل في ذلك ، وودعني شاكرا ٠

- 17 -

لم أتوجه الى مكتبى في صباح اليوم التالى ، حيث آثرت ان ابتاع بعض حاجياتى بنفسى من السبوق ، وعرجت على محل ليد لتناول قدح من القهوة •

وبدا لى المكان مظلما ، بالنسبة لضوء الشمس الساطع فى الخارج ، واتخسدت لى مقعسدا فى دكن من الكافتريا ، اقرا الديل اكسبريس وارتشف قهوتى فى تراخى الكسل ، ورحت اتصفح الصحيفة متنقلا بين أبوابها المختلفة ، ناعما بجلستى الهادئة ، وبتبدخين سجائرى المفضلة فى هذا الركن البعيد عن كل ضوضاء وصخب .

ومكتت في جلستى هذه قرابة النصف ساعة ، بعيدا عن مكتبى وعما يشغلنى في الصباح من أعمال روتينية ومن اتصالات تليفونية ومن هذه التقارير الواردة من وزارة الدفاع بواشنطون (من مدير العمليات الخاصة وجهاز المخابرات للجيش الامريكى) ، التى كانت تعرض على في غالب الايام . كما كانوا يبعثون الينا ، في كل أسبوع ، بموجز لما يرون اطلاعى عليه مما يعرض على رئيس الولايات المتحدة من نتائج نشاط المخابرات . وذلك كله ، علاوة على ما يعد لى من ترجمة لفقرات من الصحف الاجنبية ـ كالبرافدا وغيها من صحف شيوعية لبلاد أخرى .

ولقد تراكمت كل هذه المواد خلل الأيام القليلة الماضية . ورأيت انه لا مانع من أن تزداد هذه الحصيلة يوما آخر واستمرت عليم الهادئة ، وأرسلت في طلب قدح آخر من القهوة ، وتركت

نفسى على سجيتها ، فاضطجعت في مقعسدى مستريحا ، منطلقسا مع أفكارى التي تركت لها العنان .

ودخلت من باب كافتيريا الليد الخشبى القديم ، فدخلت بذلك في حياتى بهدوئها وشعرها الفاحم ونظراتها الخطرة . ورايتها تقف لحظة حتى تالف عيناها ظلام المكان ، ثم راحت تتلفت يمنه ويسرة في تؤدة وثبات ، حتى استقر رأيها على الجلوس الى المنضدة الصفية المستديرة التى كنت أجلس اليها . وطلبت لنفسها قدحا من القهوة وقطعة من الكرواسنت . وتأملت وجهها القوى التعابير ، وعينيها الناعستين الجميلتين كالمأخوذ ، وشعرت باننى أكاد أن أغرق في أعماقهما دون أن أستطيع لسحرهما ردا . وكانت تعقص شعرها الاسود الفاحم فوق رأسها ، فبدا كتيحان الآلهة تعلو وجهها الحازم في سمو واعتداد بالنفس ، وراحت ترتشف قهوتها على مهل ، بشفتين تمسان القدح في رفق الحنان .

وكانت ترتدى ثوبا أسود مها ترتديه النساء في حفلات الكوكتيل والسهرات الليلية ، يكشف عن ذراعين يتسقان مع اليدين الرقيقتين بإظافرهما المتخذة لونها الطبيعى ، وجلست أتأملها ، حتى وهى تقضم بأسنانها اللؤلؤية قطعة الكرواسنت ، واعجبنى منها أنها لم تحاول أن تصغف شعرها بيدها كسائر النساء المتأنقات ، أو تخرج مراتها ، مع قلم أحمر الشفاه لتعيد تخطيط شفتيها ، أو أهداب عينيها ، وفجأة سمعتها تبدا الحديث معى بتقديم نفسها الى ، انها جين تونيسين ، مساعدتى الجديدة في العمل ،

يا لأليس الماكرة! انها لا يفوتها شيء من هذه الحيل . فلقد تدرعت بتسليم جين ملفا عاجلا ، مع مذكرة من تشيكو يستأنن فيها بالتغيب عن عمله حتى ساعة تناول الشاى . ومن شأن تصرفها هذا أن يثير الغضب ، ولكننى آثرت ألا أبدا عملى اليومى بما يعكر صفوه. ودعوتها الى تناول قدح آخر من القهوة ، فقبلت شاكرة . ثم سألتها :

اننی أتبع ادارتكم فعلا ـ كنت أشفل منصب ادارة الفرع في ماكاو .

ولما تبيئت ما بدا على وجهى من دهشت ، افتر ثفرها عن ابتسامة رقيقة ضاعف من جمالها وعج عينيها . وقلت لها :

- لعلك غير راضية عن عودتك الى أوروبا - حتى ولو كان هذا في ايام الصيف الجميلة . انى لأذكر مطعما في ماكاو ، كان مقاما اعلى كازينو للقمار . وكان الراغبون في المراهنات يسلمون الساقيات ما يراهنون به من مبالغ ويتابعون نتائجها على اللوحة المعدة لذلك بالمطعم .

فعادت للابتسام ، وطاب لى أن أجلس فى مكانى هذا أتأمل تلك الابتسامات النقية التى يفتر ثفرها عنها . وحرصت على أن تشعرنى دائما بأنى رئيسها الأعلى . فقالت لى :

- ـ لقد أتيتك ببطاقة نقلى .
 - ـ دعينا نلقى نظرة عليها .

وبدأت أصور لنفسى فى أى اطار وضعتنى آليس أمام مساعدتى الجديدة . ولم يكن لأليس أن تفعل شيئًا من هذا القبيسل لأن ليد ليس بالكان اللائق لمثل هذا اللقاء . وقدمت لى جين تونيسين بطاقة خضراء • بطاقة مما يودع فى ملفسات الموظفين • واطلعت على البيانات المدونة بها ، لاعرف أنها من مواليد القاهرة ، منذ ستة وعشرين عاما، من أب نرويجى وأم اسكتلندية . وهى تتقن اللفات النرويجيسة والانجليزية والبرتغالية والألمانية والفرنسسية كتابة وحديثا . وتلم باللغات اليابانية والصيئية وما شابههما •

ولا يوجد بالملف الخاص بخدمتها ما يحول دون ترقيتها ال مناصب أعلى . وأعدت لها البطاقة شاكرا معلنا لها موافقتى عدلى الحاقها بالعمل معى . وكنت راضييا عن يومى وعن نفسى وعن جاسوستى الحسناء . حتى ولو لم تكن هى جين تونيسين ، ولم تكن هذه هى بطاقتها ، فانها لم تزل جاسوستى الحسناء الأولى .

وأعادت البطاقة الى حقيبة يدها الصغيرة • فسألتها :

- _ بماذا تحتفظين بها ؟ ابمسدس صدفي المقبض من عيار ٢٢ ؟
 - _ كلا ٠ انى احتفظ به مثبتا الى رباط ساقى ٠
 - _ حسن ماذا تبغين للغذاء ؟

وعندما تصطحب معك فتاة جميلة في لندن لتناول طعام الغداء فيجب أن تلهب بها الى مطعم ماريوتيازا . وجلسنا الى مائدة بالدور الارضى في ظل أشجار الكروم الصناعية . وقدم لنا ماريو شراب الكمبارى بالصدودا ، قبل أن يقدم لنا حساء العسدس الذي أعاد لجين ذكريات أعوام ولت ومضت في صقلية مع والدها عندما كانا يفومان بزيارة أصدقاء لهما كل عام لمناسبة الاحتفال بعيد سانت جوزيف في ١٩ مارس من كل عام • وسمعتها تقول حالة :

ـ يا لهـــده الأيام الغـوالى في ربيــع الشنهس المكتمـل الدف، والحياة

ونعمنا بوجبة دسمة طيبة متعددة الألوان . ولاحظت أنها لم تدخن عنها أتانا ماريو بقدحين من القهوة السوداء ولكن ، أولا يمكن أن يكون لهذه الفتاة نقائص ؟ أو يمكن أن تكون كلها فضائل في فضائل ؟

ورأى ماريو أننى مقبل على مفامرة غرامية لها شأنها ، وأنانا بزجاجة من شراب الأستى الفوار المثلج « على حساب المحل » . وقال لى وهسسو يصب ما تبقى بالسسرجاجة في كاسى ، « كل شيء على ما يرام ؟

بكل تأكيد ، فإن كل شيء كان على ما يرام . المخمر وجين . لقد تآمرنا على اشاعة روح من الرضا والشعور بحسن الحال في نفسى وساندتهما في ذلك أشعة الشمس النافئة من ظلال الكرمة لتنعكس على وجهها الجميل فتزيده اشعاعا مع ابتسامتها . وصحوت من أحلامي على ضوضاء بالخارج . كان سائق احدى السيارات في مناقشة حامية مع أحد رجال المرور . وبينما كنت أتأمل حركة المرور بالشسارع

الزدحم ، استرعى انتباهى وقوف سيارة اجرة على بعد بضع ياردات منا وقد غادرها رجلان ، واصلا سيرهما مشيا على الأقدام من الناحية الاخرى لها ، واستطعت ان المحهما بقدر ما اتاحته لى حركة المرود ، وقبسل ان تحجبهما السيارات فى غدوها ورواحها ،

وكان أحد الرجلين في طول قامة جاى وعرض منكبيه . وكان الثانى صورة من دالبى حركة وروحا . ووجست نفسى فجأة وقسد استيقظت كل حواسى وتنبهت مشاعرى وشدت اعصابى •

- 17-

لأول مرة منذ شهور تفتح نافذة غرفة مكتبى على مصراعيها، ولأولمره منذ استقرارى بهذا المكتب ، تصل الى سمعى أصوات ضوضاء الشارع وضجيج حركة المرور به ، وكانت اليس قد خلقت مهمة بالخارج لجين لتبعدها عن المكتب ، ريتما تاتينى بالملف الحقيقى لجين تونيسين ، وقمت بمراجعته ووجدته يكاد أن يطابق البطاقة التى اطلعت عليها من قبل ، اللهم الا من بعض التفصيلات التى لا تتعارض مع البيانات الأساسية عن كل ما يتعلق بهذه الفتاة ، ووجدت توصية بذيل الملف بعدم اقحامها في اية مهمة تتعارض مع ما يجب عليها من ولاء للنرويج ، وبعد أن التهيت من ذلك ، قالت اليس :

- ۔ هل تود أن تطلع على آخر بيانات من كارسويل ؟
 - اخشى الا يكون ثمة متسع من الوقت لذلك •

وفى الحق أننى كنت قد ضقت ذرعا بكارسويل وبعمل كارسويل ولولا أننى كنت لا أريد أن أفقد موراي وِأرغب في الانتفاع بخدماته . لا تخذت اللازم لنقل كارسويل •

وأقبل كارسويل ، فقلت له وهو يتهيأ للجلوس:

ـ كيف تسير الأمور ؟

ص على ما يرام •

وفتح الباب ، فاذا بها اليس تعود لتسترجع ملف جين ، وتعيد كل شيء الى مكانه ، كها دابت على ذلك منذ أن حللت بفرقة دالبى • وظل كارسويل يشرش حتى كدت أن أنهض مغادرا مكتبى ، لأتخلص من ثرثرته التى خيل الى أنه لن يكف عنها • ويلوح أن أليس قد فطنت لما يجول بخاطرى ، أذ رأيتها ترمقنى بنظرات مشفقة • وعندئذ اتصل بى تشيكو عن طريق الخط ؟ • وفى الوقت نفسه سمعت رنين التليفون الخارجى • ورفعت السماعتين ، وبدأت الأحاديث التليفونية •

ــاین انت الآن ؟ من این تتحدث الی ؟ وماذا تفعل بربك فی جرائتهام آ

- دعنی اتحدث الیه یا سیدی ۱۰ نه لم یفعل شیئا بشان طلبات الأفلام ، التی یجب آن یبعث بها الیوم » ۰

۔ لیس لك عمل فی جرانتهام • من اللی اعتمد استمارة سفرك ؟ آه ، انت • انن فعلیك ان تتحمل نفقات سفرك •

وفی الوقت نفسه سمعت کارسویل یقول: « ان مورای مهن یهکن الاعتماد علیهم لو اولیته ثقتك • اننی اقدره، واحیی فیه اقدامه » • ـ تری ماذا تظن عما عساه ان یکون لی من دور فی مسرحیسة حیاتك ؟

۔ اجل یا سیدی ، انی اعرف انك الرئیس الأعلى ، ولكننی عندما رایت یا سیدی ۰۰ »

۔ « اجل یاتشیکو ، اجل ، لقد احسنت لأول مرة ، احسنت فی قولك اننی رئیسك الأعلی السئول ، تری لو كان دالبی موجودا ۔ كنت تتصرف هكذا ؟ »

ـ لقد التقیت بدالبی یا سیدی ، وتحدثت الیه • وساقابله ثانیـة مساء الیوم » •

ولم يزل كارسويل مصرا على أن يعسرض على أوراقه • ولم يعفنى من ذلك بالرغم من انشغالي بهده الاتصالات التليفونية • ورأيته ينهض

واضعا امامى بضع صفحات من الاوراق على مكتبى ، وهو يقول : » ان هذه الأرقام ليست الا مستخلصا موجزا لما انتهيت اليه من نتائج ، لأننى لا أود أن أشغلك بالتفصيلات الدقيقة ، انك لا تريد الا الاطلاع على النتائج لا المقدمات ، واعتقد انها نتائج مرضية تحليلية مقنعة ، ،

- - ... ليس لك شأن بهذا يا أليس ، اخرجي من الخط ٠
- اذن فهى نتائج تحليلية مرضية ، ولكنها ليست بأكثر من الهام بها هو آت أو على وشك أن يحدث •
- ۔ لیس لك أن تتخطانی كرئیس مسئول لیس فی سلوكك هذا شیء من العسكرية أو النظام المرعی •
- ۔ لا یجمل بك أن ترفع صوتك بهذا على خط مفتوح كما قلت لك ، فثمة جهات أخرى ستستمع الى هذه التصريحات •

وكان كارسويل لم يزل مواصلا شرحه لما وضعه أمامى من أوراق و اننى واثق من أن مجرد اطلاعك على هذه النتائج سينبئك بالكثير ، لانك شديد اللماحية سريع البديهة وان اعدادها ليتطلب مهارة وتدريبا وتدريبا خاصا » •

لقد تعرفت على هذا الرجل يا سيدى وذلك في الفيلم الذي شاهدته في وزارة الحرب وانه صديق لابن عمى ، ياسيدى وهو واسع الباع في علم الكيمياء وسأقابل دالبي الليلية ثانية وهو يرى انني يجب أن اتخلف هنا لبضعة ايام اخرى وكان دالبي قد سألني الا اخبر بهذا احدا ما ، ولكنني مضطرا ان اصارحك بالأمر كله حتى لا تتساءل عن السر في غيابي واضف الى ذلك انني لم اكن قد اعدت بعد طلبيات الأفلام » و

وفي هذه اللحظة ، طوى كارسويل أوراقه وأعادها للملف الخاص

بها قائلا: « سيقوم موراى باستكمال هذه الاجراءات • غير ائنى ارجو موافقتك على نسبته الى «القسم المخصوص» التابع لشرطة العاصمة • وكنت اريد الاتصال بك في الاسبوع الماضي ، ولكن موراي قال لى اننا لا يمكن أن نبدا عملنا قبل أن يكون تحت يدنا النتائج الاحصائية المناسبة • ولقد وفقت أخيرا في اعداد هذه البيانات » •

كيف يمكن الإيفطن كارسويل الى أن لى أذنا واحدة وعقلا واحدا، وفى الوقت نفسه سمعت تشيكو يفول على الخط: « هل اتصل بك تليفونيا باكر بعد اتصالى بدالبى يا سيدى؟ »، ودخلت اليس الغرفة قائلة: ان جين هنا يا سيدى ، « وحاولت أن تخفى ملف جين السرى بين غيره من ملفات » •

- اهلا يسيدتي الجميلة ·
- ـ کلا یا سیدی ، لا تضع السماعة ، اننی لم أفرغ من حــدیثی معك بعد » .
- ـ لقد عانيت كثيرا في المهمة التي عهد الى بها يا اليس وقالوا لى انه لا يمكن اعداد المطلوب قبل صباح الغد »
 - اليك مقعدى ، وان كان غير مريح كما يجب -
- ـ ولكنهم قالوا ان كل شيء سيكون معدا في الساعة الرابعة والنصف وهكذا لا يمكن التعويل على مواعيدهم •
- ۔ ان صدیق ابن عمی هذا یا سیدی ، یعد من کبار الکیمائین الحربین ، وقلت اننی لو تحدثت الیه ، ، ،
 - ـ كلا · لقد قضيت يومي جالسة ·
 - كيف تأتى لك أن تلتقى بدالبي ؟ كيف تم هذا اللقاء ؟
- ے هل آکلف مورای بالبد، فی العمل یا سیدی ، علی ان یحرس علی عدم اثارة الحفظة علی القانون ؟
 - ـ هل حددوا ساعة الاستلام في الصباح يا جين ؟
- ے کان ذلك مصادفة وفی مكان شنیع حیثها تلتقی بدالبی دائها •

- ت ألم يسبق لى أن زرت جرائتهام من قبل الم
- ـ ذكره يا سيدى بطلبيات الأفلام انه الوحيد الذي يلم بوسيلة الحصول عليها
 - كلا ، أن هناك مقعدا خاليا لو كنت أرغب في الجلوس
 - _ حدد لي مكان اللقاء •
 - سأفحص جميع النتائج معك اذا رغبت في ذلك •
- ـ عل أنهى المحادثة يا سيدى ؟ ان الساعة قد جاوزت الخامسة والنصف .
- ـ فليكن اتصل بي في مثل هذه الساعة من الغد وسأقوم بنفسي باعداد طلبيات الأفلام حظ سعيد يا تشيكو » •

وهكذا دار الحديث الشخصي والتليفون في غرفة مكتبي في آن واحد كما نقلته لك • وهكذا كان يصر كارسويل على أن يعسرض على نتائجه وبياناته ـ وهي البالغة الأهمية كما يقول ـ بينما كنت مشغولا بحديثي التليفوني • وهكذا لم أستطع أن أنافش كارسويل فيها كأن يعرضه على كما يجب • وقد اعتمدت في موافقتي على ما سألني اياه على حسن تنفيذ موراي للأوامر • وغادر كارسويل الغرفة متأبطا ملف بياناته الاحصائية • وفي يوم الاربعاء ، قمت بانجاز ما تأخر من عمل تشبيكو المستعجل • وبعد أن تناولت قدحا من القهوة في الفيتزروي ، عدت الى غرفة مكتبى لأجدها مضاءة • فعجبت من ذلك ، ورأيت أن أتوخى الحذر في دخولي • وأدرت مقبض الباب النحاسي بهدوء وعلى مهل، ثم دفعت الباب لأجد أهامي دالبي يحييني مقدما لي كأسا من البراندي • وجلس دالبي الى مكتبه ، وكان لدى الكثير مها أريد الاستفساد منه عنه ، ومما أريد أن أخبره به • ورأيته يدور بعينيه في غرفته وكانه تغيب عنها دهرا • ثم استقرت عيناه على وجهى ، وتبادلنا نظرات صامتة معبرة · وأخيرا بدأ الحديث قائلًا بصوته العميق ، « ألم يسبق لك أن رأيت قنبلة تنفجر ؟ » وكنت أنا الذي أديد أن أسأله عن الكثير· وها هو يعكس الوضع ويبدأني بالسؤال • ولما حركت رأسي نفيا استطرد قائلا :

- انك بسبيل أن ترى ذلك الآن • فقد طالب الوزير المختص بأن يحضر أجراء التجربة الامريكية التالية • أن وزارة الدفاع الامريكية تزعم أنها توصلت ألى ضغط الهزات الارضية الناشئة عن هذه التفجيرات وها يقولون أنهم سيضاعفون بهذا التفجير النتائج التى حققها الروس • ولقد أخبرته بأننا أمسكنا بطرف الخيط عن بعض العلماء البريطانيين الوجودين هناك » •

۔ بعضهم فعلا ، اذا صدقنا ما يقوله كارسويل ٠ اذ يزعم انه امسك بالخيط عن ١٨ من خمسين ، بما فبهم ١١ من مساعدي المعامل ٠ هذا اذا كان ما يقوله صحيحا ٠

م لقد علمت من أليس بكل ما كان بينك وبين كارسوبل ، يمكنك أن تستغنى عن خدمات كارسويل هذا ومساعده ، فلدينا ما يكفينا ،

لقد أزاح دالبى عن كاهلى عبء الكثير • يا له من رجل خلق لمثل هذا العمل فعلا • فها هو بعد غيبة شهرين يعود فى منتصف الليل دون سابق اخطار ، ليبدأ العمل ويصدر قراراته ولما يخلع عنه بعد ثياب السفر • واستطرد قائلا:

وتساءلت فیما ببنی وبین نفسی ، عما اذا کان قد احیط علما بنقل جین کمساعدة لی ، وعما اذا کان من حقی آن تکون لی مساعدة فی حالة عودته لتسلم مهام منصبه • وسائته بدوری :

- ـ هل ترید أن برافقنا تشبیكو ؟
- أجل ۱۰ اتصل به تليفونيا ، ليعد لنا تذاكر وجوازات السفر ۱۰ ان السياعة الحادية عشرة والنصف ۱۰ هل تعسرف اين يمكن الاتصال به ؟
- ـ وأتى لى أن أعرف ؟ من هو المسئول عن العمل هنا فى الاسابيع الماضية ؟ أليس لديك رقم تليفونه ؟ اننى لم أقابله منذ أسابيع •

- انه في جرانتهام او •••
- ـ ومن كلفه بالسفر اليها ، ولماذا ؟

وكنت فى حيرة من امرى • ولم استطع ان اتبين ماذا يرمى اليه دالبى من هذا • ولكننى قررت أن أواصل تجاهل قائلا : « كان هناك ما يستدعى سفره ، ولعدم وجود من يوثق به غيره • انه سيعود فى مدى يومين على الاكثر » •

- فليتم انجاز مهمته ، يمكن أن تقوم اليس بما كنا نبغيه منه ، واومات برأسي موافقا ، غير اني بدات اشك لأول مرة أن ثمة من الأمور ما لا استطيع له فهما ، وآثرت أن اسلم بالأمر الواقع وان احني راسي أمام ما يجرى من تيارات في الوقت الحاضر ،

- 11 -

كانت مجموعة جزر توكوى المرجانية اشبه بفتات بقايا طعام افطار على غطاء مائدة ازرق اللون وكان لكل جزيرة منها خلجانها الخضراء التى صمدت لزرقة مياه الباسفيك الطاغية وهى تضرب صخورها متلاطمة في غضب ، وترتد عنها مزبدة وقد عز عليها ان تقاومها بشواطئها وتقف حجر عثرة في طريق انسيابها وكنت ترى حول هذه الجزر ، هنا وهناك ، مخلفات السفن الغارقة والدبابات المحطمة ، منذ عام ١٩٤٤ ، حينها تعرضت هذه المعدات لغارات الأعداء و

وقد شاهدنا كل هذا وغيره ، عندما كنا نحلق بطائراتنا الهليوكبتر فوق الجزيرة التى قدر كنا أن نهبط فيها ، وما أن استقرت بنا الطائرة على الأرض ، حتى أسرعت الينا سيارة جيب بيضاء اللون ، كان بهسا أربعة رجال من الشرطة الجسوية بهلابسهم الكاكى وعلاماتهم المهيزة وشاراتهم المثبتة الى صدورهم ،

وراينا عجبا · راينا كيف صارت اليه هذه الجزيرة التي وقع عليها اختيار الامريكيين من بين مئات هذه الجزر الهجورة ، وكيف زودوها بهطار ، وملاعب ، ودور سينها ، وكنيسة ، وحوانيت ، ونوادى للضباط، ومكتبة ، وصيدليات ، ومكتب بريد ، ومولد كهربائى ، الى آخر ذلك مها جعلها قطعة من العالم المتمدن المتوفر فيه كل اسباب الحياة العصرية ووسائل المعيشة المريحة ، وذلك كله فى فترة لم تتجاوز التسعين يوما، وقد بلغ بى اعجابى بهذه الجزيرة المستحدثة الاساليب أننى تمنيتللئن مثل هذا الاعداد والتجهيز ، ولقد ثبت كل مئا ـ دالبى وجين وأنا ـ مثل هذا الاعداد والتجهيز ، ولقد ثبت كل مئا ـ دالبى وجين وأنا حرف ك بعرض الشارة ، وقد خول لنا بمقتضى هذه الشارات حق الطواف باى مكان فى الجزيرة ، بما في ذلك الدخول الى ارض المعامل السرية ،

وقفى الساعات الاولى فى القاء نظرة عامة على هذا الشروع الفسخم وقد اصطحبنا فى جولتنا ميجود من الجيش تعى ذاكرته كل التفصيلات والأرقام وقام بايضاح الكثير عن القنبلة المزمع تفجيرها وأسهب فى الحديث عن اليورانيوم وعن البلوتانيوم أو ٢٣٥ ـ ى وعن دقائق التفجيرات النووية وكل ما يتصل بها وكان كلما انتهى من فقرة ، تطلع الينا وكانها كان ينتظر منا أن نصفق له و

وانتقلنا الى جزيرة اخرى وقع عليها الاختيار لتكون مكانا لتفجير القنبلة • وكانت الجزيرة تعج بالاجهزة والمعدات • وتولى الميجسور شرح الكثير عن طبيعة كل منها • كما زرنا برج الانطلاق الذى بلغ ارتفاعه اكثر من ٢٠٠ قسدما ، وكان محاطا عنسد قاعدته بلافتات كتب عليها بالحروف الكبيرة كلمة « خطر » وتحتها زيادة في التأكيد على الطريقة الامريكية عبارة : « متفجرات شديدة » •

وكانت جولتنا الثالثة ، في الكان الذي حدد لعقد الاجتماع برئاسة باترزباي • وكنا ادبعة عشر ، جلسنا حول منضدة مستطيلة ، وامام كل

منا ورقا أبيض وقلما جافا وكوب ما، مثلج • وكنا جميعا في لهفة لنسمع باترزباي يبدأ الحديث • وبعد اصداره لبعض الاوامر الشكلية ، وجه الينا الحديث قائلا:

- حاولوا أن تكونوا أكثر تقاربا وتفاهما • بمعنى أن تصلوروا لأنفسكم انكم تعرفون بعضكم بعضا •

ونهض ضابط الاستعلامات الذي طاف معنا بالموقع الى سبورة رسم علیها دائرة ، کتب فی داخلها (یورانیوم ۲۳۰ « او بلوتونیوم ») • ثم كتب في أعلى السبورة من اليمين « ١٦ يوليو سنة ١٩٤٥ » • وبعدها كتب « هيروشيما ، ٦ أغسطس ١٩٤٥ » تحت التاريخ الاول · وأضاف الى هذه القائمة « نجازاكي ، ٩ أغسطس » • وبعد ذلك استطرد في شرحه الفنى العلمي الى أن قال: « ونظن أن الروس قد فجروا هذا النوع من القنابل في عام ١٩٤٩ » • وذلك بعد مقدمات فنية عن تطورات صناعة القنبلة اللرية • واستور يخطط على السبورة ويكتب مختلف التواريخ ، منتقلا من شرح الى شرح ومن تعليق الى تعليق ، ومن اليورانيوم الى البلوتونيوم الى قنابل الهيدروجين الشنديدة الانفجار ، الى آخر هـده التطورات العلمية التي شغلت بها الدول الكبرى من عام ١٩٥٢ • ورايت السبورة وقد غطتها الدوائر والخطوط والارقام والتواريخ والمصطلحات ، حتى بلغ المبجور من شرحه المرحلة التي حضرنا من أجلها هذا الاجتماع بجزيرة توكوي ، فراح يمحو بعض الارقام والحروف ويكتب اخرى بدلا منها ، مواصلا شرحه الذي ملك منا الالباب ، وأثار في نفوسنا الدهشة والاعجاب • وذلك لأن ما كان يلقيه على مسامعنا في تلك اللحظة بالذات، من الحقائق المذهلة الروعة • أن هذه القنبلة التي قدمنا لنشبهد تفجيرها تبلغ في قوة تدميرها ٢٥٠٠ ضعف قوة تدمير قنبلة هيروشيما • وتأملت من حولي من طرف خفي ، فوجدت أن بعضهم. قد فغر فاه دهشة وهــو يصغى لآثار هذه القنبلة وما تلحقه من دمار يمتد أثره الى مئات الاميال، حتى لا تكاد أن تبقى على شيء من مظاهر الحياة ، ولا تدر جمسادا في صورته التي صاغه فيها الأنسان • انها ستهلك الحرث والنسل وتفنى الوجود

ونهض باترزبای واقفا ، بعد آن جمع المجهور آوراقه وعاد الی منعده ، وبدأ یلفی علی مسامعنا محاضرة طویلة عن الاجراءات الدفاعیة الصادرة لکل عدوان من الجانب الآخر ، وما یعد من احتیاطات امن وقائیة للتخفیف منآنار هذه الاسلحة الفتاکة ودخل فی تفصیلات مثیرة شدت الیها انتباهنا ، و تتبعناها فی انصات و تدبر ، وانتهی الاجتماع بتشکیل لجان فرعیة توالی دراسة کل التفصیلات والاجراءات ، وکانت لجنتنا مؤلفة من سکیب هندرسون واللیفتنانت دولوبوفسکی وجین ، بینما کان علی دالبی ان یجتمع فی جلسة سریة بمساعدة باترزبای ، واقترح سکیب ان ندهب الی جناحه القریب من البحر بالمسکر ، حیث ننم بجهاز تکییف الهوا، وبمنظر البحر ، وبکؤوس من الویسکی وغیره ، تلطف ما نعانیسه من حرارة الطقس ،

وبعد أن قدم لنا سكيب كؤوس الوبسكى المنلج ، ورحب بنا في جناحه ، لاحظت أنه ينتظر منى أن أبدأ الحديث ، ولم أخيب ظنه :

- ان الامر لا يعدو أننى أصبحت من يعهد اليه بالكشف عن الجرائم الغامضة ، حتى يمكن أن تطلق على بحق أننى خبير الجرائم التى لم يهتد فيها الى حل - فهل يستدعوننى كلما وقعت بين أيديهم جريمة لايجدون لها حلا ؟

- وتقوم بكشف الستار عن معمياتها ؟
- ـ كلا ، بل أنشى، لها ملفا وأشرع فى تقصى آنارها ، ويظل ملفها مفتوحا .

وقدم لى كأسا آخر ، فتناولته منه وأنا أتأمله قائلا : لعلك أتين الملك ببعض الملفات عن هذه الظاهرة • وكنا متفاهمين بأعيننا بأكنسر مها يمكن أن نتفاهم به بالالفاظ • وجلس على حافة فرانه وفتح حافظة أوراقه قائلا : لا يمكن أن أعطيك صورة صحيحة كاملة عن هذا الموضوع • غير أنه مها لا نبك فيه أننا في وضع لا نحسد عليه • فها أن نوفق في

الكشف عن جديد في معاملنا ، حتى يذاع أمره ويعرف كنهه في الناحية الاخرى •

- ـ بمعنى أن هذه الظاهرة مركزة في المعامل؟ أذن فالهدف هو المعلومات العلمية على وجه التحديد؟
 - ـ عدا ما يبدو في الوقت الحاضر على الاقل •

وكانت جين جالسة في سكون واجمة · وكاني بهسا كانت تحاول أن ينطبع هذا الحديث في ذاكرتها · وسمعتها تعود من تاملاتها لتشاركنا حديثنا قائلة :

۔ انك تقول في الوقت الحاضر على الاقل ، فهل يعنى هذا أن هذه الظاهرة سيستشرى أمرها • وكيف ؟

۔ انھا فی ازدیاد طبعا ، وانھا کتزداد بصورۃ تقض مضجع کلمعنی بالامر وتثیر قلقه ، هل یکفیك هذا ؟

وكان السؤال بمنابة الاجابة المفحمة • ولكن جين عادت لتسساله بدورها :

۔ متی بدات تشك فی أن هناك اكثر من منفد لهذه الظاهرة ؟ انها عملية متشابكة الخيوط متعددة الجنبات ، انها ظاهرة مركبة .

- مركبة ؟ انها مركبة ومركبة • انها سبكة عريضة متعددة الخيوط • ان اذرعتها لتمتد كالاخطبوط •

ونهض دولوبوفسكى يعيد ملا الكؤوس وتوزيع قطع الثلج ، وقدم سكيب سيجارة لجين ، وأشعل لنفسه أخرى وهو يقول :

- الثغرات الاولى • أجل ، خيوط الشك الاولى •

وعاد دولوبوفسكى الى مقعده ولاحظت مها تبادله من نظرات مع سكيب ان له شأنا كبيرا وفهمت أنهما يريدان أن يستمعا لما لدينا من معلومات أكثر مها يدليان به الينا وقد يكون لهما عذرهما في ذلك ، لأننا لم نخبر الامريكيين بأننا نعانى من هذه المشكلة من قبل وكان المتحدث في هذه المرة هو دولوبوفسكى :

بن يكون من اليسير تبيان ذلك مع هذه المؤتمرات الدولية التي يتوالى عقدها • ان للعلماء لغة واحدة متعارف عليها • كما أن الاكتشافات العلمية تتقارب وتكاد أن تسير جنبا الى جنب • واعتقد أن فترة ثمانية أشهر كافية لتغطية سؤالك عن التغرات الاولى التي اتصلت حلقاتها • ومن الجائز أن نعود ببدايتها متفرقة الى ما قبل ذلك ، ولكنها الآناصبحت تشمل البرنامج العلمي كله به حتى غير العسكري منه •

واستطرد بنا الحديث الى بعض ما يواجهنا فى المملكة المتحسدة ، حتى نسمع منهما الزيد ، وبعد أن شعرنا بأنه ليس هنالك من مزيد ، نهضنا مستأذنين فى الانصراف ، وودعنا سكيب الى الخارج ، حيثواصلنا سيرنا ـ جين وأنا ـ فوق الرمال التى بدت حمراء تحت أشعة الشمس الغاربة ، والتى تركت جزيرتنا فى طريقها الى الهند ،

وسرنا يدا في يد لننعم بنسيم هذه الساعة من النهار على رمال الشاطي، حوالي النصف ميل • وكانت وجهتنا نادى الضباط حيث يمكن أن نقضى بعض الوقت في استرخاء ، نستريح خلاله من عنا، اليوموجهد الانتقال •

وجلسنا الى المائدة التى اعدها الغيلام الساقى لنا فى ركن من النادى ، وقد انعكس ضوء الشمعة الراقص على وجه جين ، فأضفى عليه جمال الغموض الذى يناسب شعرها الاسود وعينيها الجميلتين ، وسمعتها تقول لى :

- یلوح لی انه کان لك سابق معرفة بسكیب أجل اننا اصدقاء قدامی •
- ـ لقد أعجبت به ولكنه بدا لي متحفظا وكأنه ••••
 - ـ هيا افصحي عما يجول بخاطرك ، وكأنه ماذا ؟
- انتى فعلا لا أعرف كيف أعبر عما يدور بخلدى •
- ـ أم لعلك في حرج من هذا ؟ اننا نستطيع أن نتبادل الرأي فيما يستجد من أمور ، لنستفيد بذلك ؛

وراینا یدا تمتد لترفع الشمعة ، ورفعنا اعیننا لنری دالبی وافقا یشعل سیجارته منها • وکان یرتدی قمیصا من قمصان هاوای الحمدرا، وسروالا قصیرا • مما جمله یبدو کان امریکی من الموجودین معنا فی هذه الجزیرة • فقلت له :

- ۔ لقد تأقلمت فأجدت وأصبحت أمريكيا من مواطئى جزر هاواي ، وجال بعينيه باحثا عن مقعد وهو يقول لئا :
 - أرجو ألا أكون متطفلا عليكما ؟

ولم ينتظر منا الاذن بالجلوس • ووضع مقعده بجوار جين • والم استقر به المقام قلت له:

- ۔ کانت جین بسبیل آن تدلی آلی برایها عن سکیب هندرسون ۔ اننی آتوق آلی الاستماع لرایها هذا
 - فانبرت جين قائلة:
 - ۔ لقد خیل لی آنه یخشی شیئا ما فقلت لها :
 - .. يخشى شيئا ما ؟ هل تعنين أنه كان خانفا منى ؟

ولكم وددت الا تواصل جين حديثها هذا ، لأنثى كنت لا احب ان اطرق مثل هذه الاحاديث في وجود دالبي ، وتمنيت لو خاضت جين في حديث غبره ، انها لا تعرف شيئا عن سكيب هندرسون ، الذي حارب في كوريا وعاد الى واشنطون مثخنا بالجراح ، فهم يخاف امثال هذا الرجل ؟ هذا الرجل الجرى، المقدام الذي كان من بين سائر ضسباط المخابرات المركزية ، الوحيد الذي يحتفظ بمراسلة زنجي معه ـ بارني بارنز ، انها لا تعرف شيئا عن حقيقة أمر هذا الرجل ، سكيب الوديع المبتسم ، وأجابت جين ، بعد أن تركتني مع خيالاتي برهة :

_ کلا ۰ لست اعنی شیئا من هذا القبیل ۰ ولست اعنی آنه یخاف احدا ۰ کلا ۰ ولکننی رایته یتاملك و کانه یرید آن یجنبك آمرا او ینتشلك من وهدة قبل آن تتردی فیها ۰

۔ هل تعنین أن لهذا علاقة بالضابط الرافق له ؟ بمعنی أنه لیست له الید العلیا فیما یقول ویفعل •

وانبرى دالبي قائلا ، دون أن يرفع عينيه عن قائمة الطعام:

- اعتقد انه لیس علیك ان تتمادی فی نظریتك هذه عن هندرسون ان للرجل تاریخا حافلا ببعض الجماقات و هدا هو مصدر القلق علیه وفی رأیی أن هذا الرافق لسكیب هندرسون كان بناء علی اقتراحه هو انهم لا یریدون آن تتسع الدائرة ویذاع الامر ، وأن یكون لصداقتكما تأثر فی ذلك و

- كان من اليسير على سكيب أن يقفل باب المناقشة ، وأن يضع حدا الأسئلتي باجابته نفيا على كل سؤال منى ·

ـ هذا صحیح • وما أظنه لو كان قد أوتی هذه المقدرة ، الا كان الآن فی رتبة اللیفتنانت جنرال •

وحاولت أن أتبين من ملامح وجه دالبي ومن نظراته ما يعينني على الاحاطة بكل ما يعنيه مما يقال ومما لا يقال ، ولكنه كان متشاغلا عنى بفائمة الطعام وبدعوة الساقى ، الذي أقبل ليتلقى منا ما نامره باحضاره لنسا ،

وكان النادى قد ازدحم بالمترددين عليه ، ودارت الموسيقى ، ونشط الراقصون ، وتصاعدت الضحكات ، ووجد الساقى صعوبة فى اختراق هذه الصفوف ، ليصلل الينا بكئوس المارتينى سللة من كل سوء ، وكان دالبى قد استدار فى دقعده وراح يراقب القاعة بعين الباحث المدقق، حريصا على ألا يحس منه أحد هذا الاهتمام ،

وجلست احتسى كاسى فى هدو، ، متتبعا حركات الراقصين ، ووفع نظرى على بارنى بارنز بين الراقصين ، فعجبت من أن سكيب قد ألفى فى روعى أن بارنى قد تخلف فى الولايات المتحدة ولم يحضر معه ، مع أن هذه الجزيرة الصهيمة ليست بالمكان الذى لا يمكن أن يلتقى الناس فيه ، وعندئذ توقفت الموسيقى وانفض عقد الراقصين ، وعاد بارنى بارنز ورفيقته فى الرقص الى مائدتهما ،

ـ ان هذا هو بارنی بارنز ، مرافق سکیب هندرسون ، انه من یجب ان اقابله ۰

ورفعت الى جين حاجبين مستفسرين • وسمعت دالبى يقول دون أن يلتفت الى ناحيته : أهو الضابط الجالس بجوار النافذة ؟ وأردفت جين قائلة :

۔ لم أكن أظن أنه زنجى ، أهو هذا الجالس مع تلك الشقراء ؟ ۔ أو تعرفينها ؟

ــ كانت ملحقة بسفارة طوكيو في العام الماضي ، وكانت تؤم كل الحفلات ، وسمعت أنها كانت على وشك الزواج من شخص ما .

_ هل آتيك بقدح من اللبن ؟

بارنز اذا کان امره یعنیك • وعلیك آن تخبر بدلك صدیقكبارنی بارنز اذا کان امره یعنیك •

۔ جینی ، ان بارنی کان فی غنی عنی طوال حیساته ، فلندعه وشانه .

وأخيرا سمعنا صوت دالبي الذي أنسانا صمته وجوده معنا قائلا : __ لقد تأخر الساقي في احضار الطعام •

ـ واخيرا تسمعنا صوتك •

- انه يحضر العشاء للجميع ، ويتركنا مع هذا المارتيني اللعين · وانبرت جين قائلة :

وحاولت أن أنهض لأقفى بعض الوقت مع بارثى ريثما يعد عشاؤنا، ولكن دالبى رفض معلنا توقف الحياة حتى نتناول عشاءنا • وكأنى به كان يريد منى أن أتوجه الى المطبخ وأشرف على اعداد طعامنا واتعجال الساقى لاحضاره •

ولم ار بدا من أن أنهض على غرة منهما قائلا: سأعود بعد دقيقة • واندفعت اشق طريقى بين الحاضرين • ولم أحاول أن التفت الى الوداء، وكنت اتخيل جين وهى تحاول أن تهدى، من ثائرته ، بطريقة أو باخرى •

ووقع نظر بارنى على وانا مقبل عليه ، فابتسم وراح يسر بشى الى رفيقته الشقراء ، وقد تبادر الى ذهنى انه يهمس فى اذنها قائلا : « اذا ما استدعى الامر فلتقولى انك مساعدتى واننا تأخرنا فى عملنا واننا نقوم بانجاز ما تبقى منه هنا » •

وكنت احب بارنى وانزله من قلبى مكانا عزيزا • وكانت رفيقته قد مائت على المائدة تصلح من شانها • وحيانى بارنى بابتسامة عريضة عبرت عن سروره بلقائى • ونهض عن مقعده ، ودار حول المائدة وهو يقول لى :

۔ لقد التقیت بصدیق قدیم من کندا · واستعدنا کثیرا من ذکریاتنا بتورنتو · وذکرنی باغنیتك المفضلة فی کنج ستریت ·

_ لعله نات ؟

۔ هو بالدات ، نات جودریتش ، اننی آذکر شیئا عن هـــده الاغنیة ، انها تبدا : « فلتکن آول من یرتقی الجبل ، ولیکن تسلقك له بمفردك » الیس كذلك ؟ وهل تعمل بها ؟

۔ اجل ، اجل ، بكل تاكيد ٠

واستغرق بارنى فى الضحك قائلا : « ربها اعدنا ليلة من هسنه الليالى • لكم شربنا ولهونا • ساحاول الاتصال بك فى مدى يوم او بعض اليوم • أما الآن فأنا مضطر للانصراف •

وكانت رفيقته الشقراء واقفة تنتظر فى قلق وقد نفد صبرها و ولم تكن هذه الذكريات صحيحة فى كثير أو قليل و ولم يسبق لى أن شربت حتى الثمالة ورفعت عقيرتى بالغناء ولم يسبق لى أن التقيت ببادئی فی تورنتو • ولم یسبق لی آن عرفت رجلا باسم نات ، ومااظن بارنی کان یعرف احدا باسم جودریتش •

~ 19 -

كنا نحس بحرارة الرمال الساخنة تختسرق أحذيتنا من شسدة ما تعرضت له من أشعة الشمس الحارقة • وكنا واقفيين نتامل تلك الاسلاك وهذه الانابيب المتشابكة المتعارضة كالافاعي الصينية ، استفل قاعدة برج الانطلاق • ورحت أتنقهل بعيني بين رجال الامن وكلاب الالزاس، غير متمالك نفسي من الاعجاب بكل هذه الاحتياطات والاجراءات الوقائية التي لم تغفل شيئًا • كما نساعدت عن بعد حوالي النصف ميل رجال التصوير يثبتون آلاتهم الاوتوماتيكية ، لتصموير كل صمعرة وكبيرة تجرى من بداية العملية لأخرها • وهبط من أعلى البرج مصعد صغير لا يسبع أكثر من ثلاثة رجال • وتركت حفيبتي مع دليلي صاعدا كالصاروخ الى أبعد من مائتي قدم • ولما توقف المصعد بي ، وقفت في أعلى البرج أتطلع الى ماحولي جنوبا وشيهالا وشرقا وغرباء لأرى الجزبرة بكل مافيها وبخلجانها وبرمالها ، تحيط بتلك الاجهزة والمعدات التي تشهد بجبروت العقل البشري. وكنت من مكاني أشرف ، في الوفت نفسه ، على ماينفق في سبيل انقسام البشرية على نفسها ، وما يعد استجابة لهده الروح العدائية التي تنذر بالانفجار ، ووقفت أسرح الطرف في كل هذه الآلاف المؤلفة من ملايين الجنيهات ، تنفق في سبيل ذلك ، وهناك من البشر في جهات أخرى من العالم من يبحث عن حفنة من الارز •

وفى دورة على الشرفة العليا ، وجدت نفسى وجها لوجه أمام بارنى و كان يرتدى حلة عسكرية بيضاء عليها علامات التجربة العلمية ، وعلى ذراعه شارات الرقيب الاول (الباشجاويش) ، وفى يده مسدس

عيار ٢٣٠٠ ، وتصادف ائنى رايت فوهة السدس موجهة الى ناحيتى ، فقلت له :

- ۔ هلا نحیت هذا عنی ٠
- من الافضل أن يلتزم المرء جانب الحذر
 - ـ والآن هات ما عندك •
- ۔ فلتبدا انت لأتبين حقيقة امرك حقيقة اننا تعارفنا من قبل، ولكن الناس يتغيرون هل تغيرت عن عهدى بك ؟
 - _ ربها ربها أكون قد تغيرت •

وران علینا صمت مطبق طال آمده وفی الحق اننی لم استطع ان ادری ما کان بارنی یرمی الیه من حدیثه هذا وحاولت آن اقلب الامر علی کل وجه ، لعلنی آن آتبین شیئا من ثنایا سلوگه واقواله و وجد تنی آکشف عما بجول بخاطری قائلا :

- ـ انك تستيقظ في يوم من الايام لتجد أصدقاء العمر وقد تبدلت أحوالهم وتصحو لتجدهم وقد صاروا الى هذا الطراز من البشر الذي كنت تحتقره وتنظر اليه ندرا وثم تتحقق بعد ذلك من انك بدات تقلق من أجل نفسك اشفاقا عليها من هذا المصر
- ۔ اجل هو ذاك وانهم لم بعد يعنبهم من أمر هذا التحول الذي هز كيانهم شيء
 - بل ان هذا ليعنيني فعلا •
 - _ ذلك لأنك لا تعرف متى تتعرض لما تعرضوا له •
- ـ قد بكون هذا صحيحا ولكنثى لا أغرر بالناس لأزج بهم فى أحرج مأزق لأثبت ذلك •

ولكنه لم يبتسم • لقد قلت هذا على سبيل المزاح • أم لعسل ذلك لم بكن مزاحا في تقديره • وسمعته يقول لى :

_ وهكذا تغيرت ، وعكذا فقدت صوابى · استمع الى أيها الرجل الابيض ، أو تعرف شيئا عن أغلى سلعة في هذه الجزيرة ؟

- _ الست اقف على قمتها ؟
- كلا ٠ اللهم الا اذا كنت واففا عليها راسا على عقب ٠ ان اغلى سلعة هى انت ٠ اجل انت ٠ ان الاضوا، مسلطة عليك ٠ يقسول ه الاصدقا، » عنك انك ضللت الطريق او حدث عنه قليلا ٠ هل هذا صحيح ؟ صارحنى بكل شي ٠٠
- أصارحك بهاذا ؟ اذن فهذا هو السبب في أن الاصدقاء قد دفعوا بي الى القيام برحلة حول العالم ليلقوا بي بين يديك أعلى قاعدة تفجير القنبلة الذرية ، الا أنه قبل أن يحدث شيء من هذا القبيل ، دعنى أصارحك بها سألتنى أياه ، هل أنت مجنون ؟

وكان وجهه قريبا من وجهى • وسكت عن الكلام ، ووقفت احدق في وجهه ، وران علينا صمت مطبق ، خيل الى اثناءه أن الزمن قد توقف بضع دقائق عن الحركة • ثم سمعته يقول لى في صوت متهدج :

- ان مصیری الموت اذا ما رآنی احسد وانا اتحدث الیك ، الم یتبادر الی ذهنك السبب فی مرافقة هذا الضابط لسكیب كظله ، وفی مرافقة هسده الشقراء لی ؟ ان مجرد اقترابی منك یقتسرب بك من الشرحة ،
- ـ هكذا ؟! اذن فما عليك الا أن تعجــل بالاحتفـاظ بحقك في الاشتراك بجنازتي
 - ۔ لست ادری ماذا آنا قائل لك · ان امرك لشد ما يقلقنی · ۔ شكرا ·

ووقف كل منا يحملق فى وجه الآخر · واسرع بارنى بعد برهة الى المصعد بعالجه حتى لا يمكن التحكم فيه من اسفل · وعاد يقول بكل هدوء : اننى الوحيد الذى امكنه أن يتصل بك · والوحيد الذى

تم يصدق شيئا مها يقال وبالذات اذا ما شعر بغيوط العمل تتجمع ضد رجل قد لا يعرف شيئا عما يدور خلف ظهره ولقد رايت ان اعطيك فكرة عما يحاك ضدك قبل فوات الاوان ، وقبل أن يتبين المرجفونخطاهم في وقت لا يمكن فيه اصلاح نتائج هذا الخطأ و

واسقط فی یدی ولم احر جوابا • ولم ادر هل اشکره ام هل اعتدر الیه • وقد اخرجنی من حیرتی وگانه گان یقرا افکاری قائلا :

۔ لا تعاول ان تشکرنی • ان سکیب لم یتح له الفرصة التی اتیعت لی • انه هو الذی یستحق آن تشکره •

واردف قوله بابتسامة ، وتحرك وكانه فرغ مها كان يود الافضاء به الى • ولكنني استوقفته قائلا :

- مهلا دعني اضع النقط فوق الحروف •
- ۔ لیس هناك متسع من الوقت ، وما علیك الا أن تنسى اننسا التقینا ، علی الا تنسی ما بصرتك به ، وما یجب ان تضعه نصب عینیك ۱۰۰ اننا لا یجب ان نری معا ،
 - ـ اعطنی مسدست •
- وماذا أنت فاعل به انك لن تستطيع أن تشتق طريقك بواسطته ما عليك الا أن تتلمس لك طريقا تنجو فيه بجلدك هبا انطلق بطائرة تخرجك من هنا •

والقى الى بالمسدس وبشريط من المعدن اللصاق استعنت به على تثبيت المسدس بساقى اليهثى تحت السروال • واسرعت الى المسعد ، وسمعته يقول لى قبل أن يوصد بابه :

- وحدار أن تدهب باكيا الى رئيسك الجديد •
- وهل دالبي هو الآخر مقتنع بما يقال عني ؟

واستعرضت كل ما كان يصدر عن دائبى من كلمات وتصرفات فى الايام القليلة الماضية ، وحاولت أن أربط بين كل ما كان وما سمعته الآن ، ووجدتنى مشوش الفكر ، في دائرة خبيئة من الحسيرة وشرود الذهن ،

واسرع المصعد بى هابطا · والفيت دليسلى فى التظارى وسلمنى حقيبتى · فحملتها عنه وعدنا ادراجنا الى باب الخسروج · ووجدت سيارة نقل تفف بها ، وسائقها يتركها ليخلى مقعده لشرطى يقودها الى البرج · وأطلع القائمون على حراسة الباب على بطاقتينا ، ولم يبد ان أحدا منهم كان يعرف أن أغلى سلعة بالجزيرة كانت تخرج من الباب المعهود البهم بحراسته ·

وفى طربقنا بالسيارة الى نادى الضباط ، رحت استعرض كل ما كان من جين فى الليلة السابقة ، اهتمامها ببارنى وتعليقاتها على سكيب وموثفه منى ، تصرفاتها مع دالبى ومدى تفاهمهما على كل ما يتصل بشائى ،

وما أن احتوانى نادى الضباط ، ووصلت الى أنفى رائحة الدجاج المشوى ، واستقر بى المقام الى المائدة الموضوع عليها أناء الماء المثلج . حتى شعرت بالهدوء والراحة ، في هذا الجو المكيف .

- Y+ -

كان نادى الضباط مشيدا بالصحورة التي تتفق وكل شيء في جزيرة توكوى وكان مقاما من طابق واحد ، وغادرت قاعة الطعام ال غرفة الجليس حيث رأبت جبن جالسه بجوار النافذه بين جماعة من الطبارين ، تبشت من شاراتهم أنهم من كبار الضباط ممارسة ودربة بالرغم من صغر سنهم ، لأنهم كانوا يرقون الى رتب اعلى كلما قاموا بعمل مجد ، كاتقان اصابة الهدف وقوة التحكم وحسن التركيز ، ومثل هؤلاء الضبطاط ، هم الذبن كانوا يخترقون المحال الجمى ومثل هؤلاء الضبطاط ، هم الذبن كانوا تخترقون المحال الجمى السوفيتي في كل مرة يتوقع السئولون حدوث تفجير ذرى او يتوجسون خيفة من هجوم مفاجىء ، وسيقوم هؤلاء الضباط بملاحظة آثار هذا

التفجير من الجو ليقارنوا بين الحالتين ، وما أظن جين بقادرة على أن نتنتزع من هؤلاء الضباط سرا ، وما أظن أن هناك أية فرصة أمامها لتنال ما تبغى ، ومع ذلك ، فقسد رأيت أن أجلس بعيدا عنها ، وتشاغلت بمراجعة بعض الأوراق التي كانت أليس قد أودعتها حقيبة أوراقي ، وكنت أختلس النظر من وقت لآخر ناحيسة جين ، فأراها مستمعة لما يدور بين الضباط من حديث ، لا تشترك معهم الا اليسير وبقدر ما تدعو اليه الحاجة الى توجيه الحديث ،

وكان بوسعى أن أسمع مايدور بينهم من حديث . فانصبت لأسمع احدهم قائلا :

- أجل يا سيدى • أن نيوبورك هي المدينة بحق • أنني لا أعترف بغيرها مدينة .

فيعقب آخر:

اننی أحب نيوبورك ، ولكن ، نيو أورليان هي المدينة بحق ! يالها من مدينة !

ويتدخل ثالث ورابع ويدور الحديث على الوجه البالي:

حلقد أفمت بها سنة أشهر . انها آخر بلد في العالم مازالت تعترف الرأة فيه بسيادة الرجل •

والهند ، وأفغانستان التى يساوى الجمل اكثر مها تسساويه الرأة ، لقد رأيت ذلك بعينى رأسى ، حين التقيت برجل يمتطى ظهر جمله وامرأته تتقدمه سيرا على قدعيها ، فلما سألته لماذا لا تشادكه نوجته فى الركوب ، قال لى ان فى طريقهم حقول ألغام ، وأنها يجب ان تتقدمه ، لأن الجمل يساوى كثيرا ، وهو عنده أكثر نفعا من زوجته ،

وعلى هذا النهط دار التحديث بينهم • فرندا يتحوس لتكساس وذاك لألاسكا • وهسدا يفاضل بن المانيا وفتيساتها وبين اسكندناوه وحاناتها • وأخيرا انفض مجلسهم ، وقام كل منهم ال وجهته ، حتى خلت منهم غرفة الجلوس . واقبلت جين تقف خلف مقعدى وتلمس رأسى بيدها . ثم دارت لتواجهنى وتتخذ لها مقعدا أمامى . وبعد أن تبادلنا ابتسامات اللقاء ، تساءلت فيما بينى وبين نفسى ، ما اذا كانت جين هذه بالنسبة لى كدولو بولسكى بالنسبة لسكيب ، وبيت ، نية على تقييم كل ما عساها أن تقوله لى ، لأننى لاحظت أنها متلهفة على أن تحكى لى عمن كانوا يجالسونها ، وفعلا بدأت تسرد على مسامعى تفصيل عملهم ، بعد أن أشعلت سيجارة داحت تدخنها في هدوء ، متاملة حلقات دخانها ، حتى لا تلتقى نظراتنا كثيرا ،

وبعد أن انتهت من حديتها عن هؤلاء الضباط وبعض ما قاموا به م
سكتت عن الكلام متخذة وضع من تترقب اطراء هندامها وجمالها وفي
الحق أن شمس الجزيرة وحرارة طقسها قد اكسباها سمرة ضاعفت من
جمالها وبعد أن فرغت من تدخين سيجارتها ، داحت تتامل اظافر
يديها ، وقالت لى دون أن ترفع عينيها عنها ، « هل ذهبت الى جيلد
فورد ؟ » •

فأومأت ايجابا • واستطردت قائلة :

- في الاسبوع الاول ، عندما يكون التدريب كله عمليا وبدنيا ، وتجلس معظم وقتك في انتظار برنامج الاسبوع الثاني ، يلقون عليك محاضرة في بناء الخلايا وما الى ذلك .

وكنت أعرف أنها تعرف بدورها أنه لا يوجد مبرر لمثل هذا الحديث، ولم أحاول أن أقاطعها • وتركتها تواصل حديثها قائلة :

- « ان الیس هی حلقة الاتصسال الرسسمیة بینی وبینك • وفیما يتعلق بی ۱۰۰۰ » ثم توقفت قلیلا قبل ان تستانف قولها : « ومنذ اتصالی بها لم الجأ الی وسیلة اتصال اخری » •

ولم أعقب بشيء • وظللت في مقعدي ساكنا لا أتكلم • فقالت :

ان عملی اصبح اکثر تعقیدا مما کان علیه فی ماکاو · واشمل اختصاصا مما کنت اتوقع · ولم اتصور اننی ساقوم بشی، من هسدا

الفبيل » • وأومأت براسها ناحية المكان الذي كانت تجلس فيه مع الضباط بجوار النافذة • « ولكنني سأواصل القيام بها أكلف به عن طيب خاطر • غير أنه يجب أن يكون لذلك حدود • أنني أمرأة ، وطاقاتي محدودة »•

ـ «قد تكونين مخطئة فيما تظنين » • وفي الحق أنني قلت ذلك وانا لا أعنى به غير كسب الوقت أكثر من أي شيء آخر •

۔ لست من هذا الرأى ، وسأدلل لك على صدق زعمى ، اذا كان لديك متسع من الوقت ، ساعة أو بعض الساعة ،

وتبعتها الى الخارج ، ثم الى حيث تقف السيارات ، واحتلت مقعد قيادة سيارة فورد ، والى حاجب الشمس بجوار مقعد السائق ، كان مثبتا جهاز ارسال صغير فى حجم صندوق سجائر سعة عشرين سيجارة ، ويمكن لهذا الجهاز أن ينقل الصوت الى مسافة ثلاثة أميال ، وهو جهاز يفرض على كل سيارة فى جزيرة توكوى أن تزود به ، ونزعت الجهاز من موضعه، ووضعته داخل صندوى من أوراق « الكلينيكس » فى المقعد الخلفى لسيارة شفروليه كانت بجوارنا ، وصعدت الى جانب جين التى انطلقت بالسيارة الفورد ،

وكانت چين متحكمة في عجلة القيادة ، منطلقة بالسيارة في أقصى سرعة ، واثقة من حسن تقديرها للمنحنيات عند الاقتضاء ، وبعد مسيرة بضعة أميال ، وبدلا من أن تعرج بالسيارة الى اليساد ، في الطريق الى داخل الجزيرة ، عرجت الى اليمين ، في طريق وعر استغرقنا في المرود به حوالى الساعة ، الى أن توقفت بنا جين حيث تريد ، في جانب من الجزيرة كثير الصخور البركانية ، والنباتات النامية على منحدراتها ، بعيدا عن مركز الادارة ونادى الضباط ،

وكانت الشمس تنحدر نحو المغيب ، لتصعد مشرقة في جانب آخر من العالم • والتقطت جين شعلة كهربية من السيارة ، وواصلنا طريقنا سيرا على الأقدام •

ولأول مرة منذ انطلاقنا ومغهادرتنا للنادى ، لم أتمالك نفسى هن سؤالها قائلا :

۔ الیس من حقی الآن أن أعرف شیئا عما نحن مقبلون علیه ؟ ولم تسرع بالاجابة • وخیل آئی أنها حائرة فیما یجب أن تصارحنی به شفاها ، و کان الأمر مستغلق الفهم علیها •

ـ لقد كنت هنا فى الليلة الماضية مع دائبى • وقد اصطحبنى حتى نبدو فى جولة غرامية أو ما شابه ذلك ولا يكون موضع شك فى حالة ما أذا كان بمفرده • وقد تركنى فى السيارة • ولم استكمل معه الجولة وانى لأريد أن أرى الليلة ما لم أره بالأمس •

وعاونتها فى تخطى حاجز من الأسلاك الشائكة ، واوغلنا فى السير بعيدا عن الطريق ، حتى اختفت السيارة عن اعيننا ، ووجدنا علىالشاطى، كثيرا من مخلفات الحرب العالمية الثانية ، وبدا لى من الحالة التى رايت عليها الدبابات والمصفحات وغيرها ، أنه كان لطبيعة الارض الدفاعية اثوفيها لحق الغزاة من خسائر فادحة جسيمة ، وكأنى باليابانيين قد فطئوا الى ذلك واستغلوه أيما استغلال ، وتقدمتنى جين حيث لحقت بها واقفة بباب الحصن الصغير المقام من الحجارة والاخشاب والمدعم بكمرات من العديد بارتفاع قدره ٢٥ قدما ، وقد ظهرت على جدران الحصن آنار يد الطبيعة من حرارة ورياح ، ونمت به النباتات والأزهار البرية حيث كانت الطبيعة من عبث الانسان بها ، بعد أن ترك الحصن واستغنى عنه ، وكان بمنجاة من عبث الانسان بها ، بعد أن ترك الحصن واستغنى عنه ، وكان المدخل منخفض الارتفاع ، لا يمكن للداخل أن يتخطاه الا منحنيا ، والى جانب آنار قدمى جين على الرمال ، وجدت آثارا أخرى عرفت أنها لدالبى، وكانت أكثر انطباعا مما يجب أن تكون ، الامر الذى رجحت معه أن دالبى وكانت أكثر انطباعا مما يجب أن تكون ، الامر الذى رجحت معه أن دالبى كان يحمل شيئا ،

ـ هل كان حمله نقيلا ؟

[۔] الصندوق الذی کان یحمله! أجل ، كان یبدو كذلك ، ولكن ، كيف عرفت هذا ؟

۔ لقد استنتجت ذلك • ويلوح لي أنه كان منهمكا حتى أنه لم يشعر بتعقبك له •

وتنحت جانبا لتفسح لي طريق المدخل قائلة:

- لقد كلفنى بالتخلف في السيارة ، ولكن فضول تغلب على فاقتفيت اثره •

ودخلنا الى الحصن • وتحققنا من أن هذه الجزيرة كان لها شأنها الحربى في الصراع الماضى • ومن المدخل اجتزنا ممرا ضيقا الى حجرة صغيرة مظلمة تبلغ مساحتها حوالى ١٢ قدما مربعا • ووقفنا وقد خيم على الحجرة السكون •

ولما اعتادت عيناى الظلام ، رايت بالحجرة صناديق معدنية عليها ارقام وبعض كلمات « المصنع » • كما شاهدت فى ركن آخر منها صناديق خشبية محطمة وبعد صناديق للذخيرة • كما شاهدت ايضا فتحات بعرض الحصن للمدافع وغيرها من وسائل القتسال • وكانت جين منصرفة الى تسليط ضوء شعلتها على الجدران ، وبالذات القريب من باب الدخول ، حيث رأت شعلة دالبى بالأمس تتحرك فى هذا المكان • وبدأت القل بعض الصناديق لأجعل منها مرتفعا يمكننى أن اصعد عليه لأدقق النظسر فيما نبحث عنه •

وعلى ضوء الشعلة التي ناولتنى اياها جين ، بدات أبحث بين المخلفات الموضحوعة على الرف الحجرى الذى كان معدا للجنود للتحكم منه في الفتحات المشبتة أمامها المدافع والبنادق بعيدة المدى، وعثرت في الناحية اليسرى من هذا الرف على صندوق خشبى لم أجد بداخله شيدًا ، كان موضوعا فوق صسندوق آخر من الكرتون عليه هذه الكلمات ، « أطعمة ، كرانبرى مجمد » ، وتحت هده الكلمات كان مطبوعا بعض الارقام السلسلة ، وشهادات بنقاء المحتويات ونظافتها ، ووجدت بداخل الصندوق أنبوبة للأشعة السالبة طولها حوالى سبع بوصات ، وما يقرب من الاثنى عشر ترانزستور ، ومظروف أبيض ، ومسدس سريع الطلقات ، ولم يوجد بالصندوق ما كتب

هلیه من الخارج ـ اطعمة وکرانبری مجمد . وقمت بفض الظروف لأجد به قصاصة من الورق فی حسوالی الست بوصات طولا واثنین عرضا ، مسطرا علیها حوالی الخمسسین کلمة لم أفهم شیئا من مصطلحاتها ، وناولتها لجین لتقرا ما بها ، فرفعت عینیها الی متسائلة ، عل تعرف الروسیة ؟ » فاجبتها بالنفی ، ثم سمعتها تعقب قائلة :

ـ ان هذه الكتابة هي عن ٠٠

فقاطعتها قائلا:

۔ فلیکن ، فلیکن ، قد تکون ، فیما یبدو ، مصطلحات عن فنبلة النیوترون ،

_ وماذا أنت فاعل بهذه الورقة ؟

فأخذت المحرر منها وأعدته الى صندوق الأطعمة الزعوم .

أما المظروف ، فأحرقته حتى صار رمادا ، ثم قلت لها ، ((هيا بنا)).

ومشينا على حذر على المنحدر المتجه الى الشاطىء ، وكان

قرص الشمس فى طريقه الى الاختفاء عند ملتقى السسماء بالماء ،

وكنت أستحث الخطى وكاننى أريد بذلك أن أبتعد عن شيء ما ،

وسمعت جين تقول لى لما وصلنا من سيرنا الى محاذاة الشاطىء :

ماذأ يحمل بعضهم هذه الأنبوبة من الاشعة السالبة الى هذا

وكانى بها لم ترغب فى ان تقول دالبى بدلا من « بعضهم » • مد يكون من الأفضل أن تصاريحينى بما قاله لك عنى . فانك ان فعلت هسدا ، يسرت لى ولك اماطة اللثام عن الكثير ممسا تنساءلين عنه ، وجلوت اك بعض ما يكتنفنا من غموض .

- ان الأمر هبن يسير - لقد قال لى أن بعضهم أو بمهنى أصح بعض رجال المخابرات ، واثق من أنك تعمل لحساب جهاز الجاسوسية السوفيتى (لجنة أمن الدولة) ، وقد نقلوا ذلك ،

الكان ؟

لأنهم كانوا مهيأين لتصديق هذا عنك ، بعد قتلك لرجلين من رجال بحريتهم منذ حين .

- ـ وما هو موقف داليي من كل ذلك .
- ـ انه جد مبتئس وقد كان لتغيبه أثر كبير في استفحال أمر هذه الاشاعة . هل قتلت الرجلين فعلا ؟
- ـ أجل . لتد قتلتهما ، وأصبح العدد بذلك ثلاثة ، وهـذا بخلاف ضحاياى في الحرب ...
 - _ لا تسترسل ليس بك حاجة لأن تخبرني بهذا •
- ۔ لم یکن ذلك عن عمد منی . تلك هی الحقیقة ، وام یکن بوسم احد أن یفعل غیر ذلك . انه خطأ غیر مقصود . ماذا كانوا یریدون منی أن أفعل ۱۰۰ أن اكتب لجاكی كنیدی اعتذر الیه ؟
- يبدو أنه كان من رأيه التريث حتى يتبينوا ما أذا كنت الصلت بأحد قبل أن تفعل شيئا من هذا الذى ينسب أليك . وكان يتساعل عما أذا كان كارسويل كان يعمل معك عندئد . لفد بعث برسالة بالشهدة عن طريق الراديو لتنعية كارسويل وموراى عن عملهما بالادارة .
- ۔ انه امر متاخر ، لقد الحا على في الائن لهما بالتغيب قبسل سفرنا .
 - _ لعل في هذا ما يقنع دالبي •
- ـ بأن كارسويل هو حلقة الاتصال ، ربها ٠٠ ولماذا لا يشك في أن تكوني انت وسيلة الاتصال ؟
 - ـ لانئى لست كذلك .
- ـ لو كان ما يقال عنى صحيحا ، وأننى أعمل لحساب جهاز الجاسوسية السوفيتى ، لما هيأت الفرصــة لأحد بأن يشـك في تصرفاتى ، ولالتزمت جانب الحدر والحيطة تجنبا لكل شك ، لست

أنت ولا غيرك حلقة اتصال بيثى وبين لجنة الأمن الروسية ، لاننى لا أعمل لحسابهم فعلا .

وابتسمت جين ابتسامة الرضا والارتباح ، قائلة:

۔ یلوح لی أننی لم أحسن الاستهاع جیدا کها فعلت أنت فی جیلد فورد •

وبدأ نسيم المساء النعش يهب علينا من البحسر ، فيسداعب خصلات شعرها وأهداب نوبها ، وتأملت هذا الجمال انذى يخطو الى جانبى على حافة مياه المحيط التي احتضنت فرص الشهس الفاربة فلعنت هذه الظروف التي ألهتنى عن التمتع بكل هذا الجمال ، جمال الطبيعة وجمال البشر ، وبينما كنت محلفا في سماء خيالى ، وقد كدت أن أنسى ما أنا فيه من متاعب الحيساة ، صحوت لأجدها وقسد اعترضت طريقي لتهبط بي من تأملاتي قائلة :

- فلنسلم بأنك لا تعمل لحسداب الجاسوسية الروسية ، ولكن من يشك في أنك هذا الرجل ، بريد أن يقوم بشيء ليوففك عند حدك ، ترى ماذا هم فاعلون ؟
- أن أيامن كان لا يمكن أن يجرأ على مجرد التفكر في مثل هذا.
 - ـ انه مجرد افتراض ، فهاذا تكون العوافب ؟
- ــ لست أدرى ، أن هذا لم يطرأ على بالى من قبل ، ولم الله أن تعرضت له .
 - أن الطقس بميل للبرودة ، فلنعد الى السيارة .

- 71 -

وكانت الأيام التالية ، أياما مليئة بالحركة مستحونة بالتوتر ، لأنها كانت تقترب بنا من اليوم المحدد للتفجير . ولم يتغير الوضع بالنسبة لى ، ولم أنقطع عن حضور المؤتمرات والاجتماعات التي كان ي

يشترك فيها غيرى من الراقبين . ولم تنح الفرصة لجين ولى لنتبادل أكثر من كلمة أو كلمتين دون أن نقرض لأن يسمعنا أحد أو يسجل لنا حديث ، وكنا قد اتفقنا على هذا التباعد تجنبا لاثارة أى شك بالنسبة لتفاهمنا عما يدور بشأنى ، وكنت أراها واقفة بالدهليز ، في انتظار النوقيع على بعض مالديها من أوراق ومستندات . وكنت أنتحل الأعذار لأمر بجوارها في الدهليز ومداخل الأبواب لألتقط كلمة أو كلمتين .

وقضيت يومين في عمسل متصل مع دالبي ، لا أكاد أفارقه أو يفارقني ، وكنت مسرورا بذلك ، وكان هناك فارق كبير بين دالبي وبين غسيره من رجال المخابرات ، لأنه كان لا يعمسل الا بنا، على وحي من ضميره ومن اقتناعه الذاتي ، ولانه كان يترك لفيره من مرؤوسسيه الفنيين حرية العمل في حدود اختصاصهم ، دون أن يحساول نسبة الفضل اليه فيما ينتجون .

وكنا قد اكتشهنا ، أنا وجين ، الصهندوق السرى في الحصن في بوم ثلاثا، • وفي يوم الخميس ، دعانا القائد العام - الجنرال جيربت - مع غيرنا •ن المبحوثين ، لحفل في منزله .

وكان منزل القائد مشيدا في الجانب الصغرى من الجيزيرة ومرة أخرى قدر لنا أن نشاهد الشهس في مغيبها . وننعم بهذا المنظر الأخاذ المتعدد الإلوان في هذه الساعة الاخيرة من ساءات النهار . ودار السقاة بكئوس المارتيني المثلجة ، على الجمسع المتباين الاجناس والسمات والاذواق و وجلس ثلاثة من موسيقي الجيش يعزفون مختلف الألحان .

وبعيدا عن الأضدوا، ، في طرف حديقة منزل الجنرال ، رايت دالبي جالسا على احدى الصخور ، يتطلع الى المياه التي كانت تبعد عنه بحوالى ثلاثة أقدام ، وشاهدت عن بعد احدى المدمرات وقد القت مراسيها ، وتبيئت من الدخان المنصاعد أنها على أهبة الاستعداد للابحار ، وتمكنت من قراءة حرف ((ر)) المنقوش على جانبيها ،

والذى يسسبدل منه على انها احدى سفن قياس الأعماق وموجات الذبذبة تحت سطح الماء . وعلى « اللنش » الواقف الى جانبها ، كنت أرى رجالا من فرقة الضفادع البشرية ، يصعدون ويهبطون لاحكام وضع شبكة أجهزة القياس ،

ولاحظت أن دالبي كان يحسرك كاس المسارتيني في يده بدورة عصبية ، ثم سمعته بقول:

ـ ليس هناك من سبيل للاتفاق معهم .

ولم يكن بوسعى الا أن أقرن هسله الملاحظة بشسخصى ولكنه استطرد قائلا ، (أن محاولة أية مساومة معهم ، يجب أن تستبعد من كل اعتبار ، وذلك لأنه لا يوجد أى ضمان لمحافظتهم على كلمتهم ، أن الحرب ستكون فرصة لهم و فرصة لنشر مبادئهم ولا تنسى أنهم سيدخلونها بأسلحة أقوى وأشد من هذه القنبلة التى نقيم الدنيا ونقعدها من أجلها و أنها ستكون بمثابة لعبة أطفال بالنسبة لقنابلهم و

ثم تطلع ناحیسة المنزل عبر الحدیقة التی غصت بالسدعوین من الرجال والنساء ، وراح یتأمل الراقصین والراقصسات علی انفسام التشاتشاتشا ، وانبری من بین الحشد بریجادیر ، سمعت دالبی یقول له : « لقد انقلبت الجزیرة عبدا یا جیمی ، وانکم ستظلون کذلك ، تواصلون تقدمكم العسكری ، مادام نظامكم یجد من التجارة والصناعة عونا له ، »

ووقفت انصت لحديثهما الذي كان مزيجا من السياسة والصناعة والتجارة ، في تتبع واعجاب ، لأنه كان شيقا مسليا طريفا ولم ينقطع سيل هذا الحديث الا بقدوم فتاة طويلة القامة ، ليست على قدر كبير من الجمال ، لتدعو البريجادير لاصطنحابها الى حلقة الرقص بداخل المنزل .

وتأمله دالبي قائلا: « يا لهـــؤلاء الامريكيين • ان دماءهم تجرى في عروقهم بكرات حب المال والافتنان في كسبه ، انهم لا يالون في

سبيلَ هذا جهدا . حتى المشاعر الانسانية ، تجدهم أبعد ما يكونون عنها . »

- وهل صديقك البريجادير من هذا الطراز ؟

انه طراز فريد في بابه . اننى لم اصادف في حياتى كثيرا من امثاله ، ممن لهم ذهنه المتوقد وفكره العسلائب و لقد كان من اصحاب اللابين ثلاث مرات ، وكان من المفلسين مرتين . لقد كان معدما الى شهرين من قبل ، ثم دعاه الجيش للاشتراك في اقامة هذا الشروع ! فعاد بذلك ليصبح مليونيا لثالث مرة ! انه شخصية مهتازة غير عادية ١٠٠ اليس كذلك ؟

ورحت أتأمل البريجادير عن بعد ، عبر الشرفة ، وهـو يراقص فناته ، وبينما كنت مستفرقا في ذلك ، سمعت دالبي يقول لي : _ لقد أراد أن يستمرك للعمل معه عاما .

وظل كل منا لا يتحول بعينيه عن حلقة اارقص . واجبته قائلا: - وهل تم له ذلك ؟

ـ كلا . ما لم تكن تريد غير ذلك . لقد قلت عنك أنك تفضل العمل في شارع شارلوت .

- اذن ، فلتدعنى اعرف عندما نجدنى قد غيرت رايى • وفهم دالبى ما اعنيه • ورمقنى بنظرة كادت تنفذ الى اعماقى • ثم سمعته يقول لى في صراحة وعدم التواء :

لا تدع لما كان في هذه الأيام الأخيرة أن يترك أثره في نفسك ، ما كان لى أن أحدثك بذلك ، غسير أن الملابسات اقتضت أن توضيع موضع التجربة لغنرة ما . ولقد كانوا يتوقون الى الصاق التهمة باحد كبار الضباط من المشكوك فيهم ، أو قل التأكد من شكوكهم عندما ينبرى لمساعدتك ضد حملتهم عليك . هل تفهمنى ، أنهم يسلطون الأضواء عليك ، وليس عليه ، ليكشفوا عن حقيقة أمره ، لا أمرك . ومن هنا ، يتعين عليك أن تواصيل القيام بدور المضطهد الذي رسيم

لك . ضع ماقلته لك نصب عينيك ولا تستفر منى عن شيء الآن . وما أن وافت الساعة الثانية عشرة والنصف ، حتى تسللت من الباب الجانبى للحديقة عبر طريق الخدمات المتحد بجوار مكتب البريد ، وكانت الفرقة الموسيقية المختلطة بفسحكات المدعوين بمنزل الجنرال ، تصل الى سمعى سارية مع الليسل الساكن في هذه الجزيرة التي ملئت حياة ، وعلى مسافة قريبة من مكتب البريد ، دخلت الكوخ المنعزل ، الذي وجدت به جنديا شابا سلمنى برقيتين ، علمت الكوخ المنعزل ، الذي وجدت به جنديا شابا سلمنى برقيتين ، علمت منه انه تلقاهما بعد الساعة السادسة والنصف ، حين مرت به لآخر مرة .

(اليس للجاسوس أصدقاء الله هذا ما يقوله الناس ولكن الأمر غير ذلك ، فالجاسوس يجب أن يكون له أكثر من صديق ، أصدقاء بكنسب صداقتهم بما يقوم به لاجلهم ، وأصدقاء يكنسب صداقتهم بأشياء أخرى ، ولكل عميل ((شبكته)) التى تمتد عبر الحدود وتتخطى كل ولا، • تلك هى ضمانات الجاسوسية ودعاماتها .

وفف البرقية الاولى، وكانت من رجل يدعى جرينالا ، أصبح من رجال السياسة ومن أصحاب الرتب الكبيرة ، وأن كانت لا تقرن باسمه ، وهى مرسلة من مكتب بريد ليون ، وقد تأكدت من أنها مرسلة منه لأن اسم برت الذي ورد بها كان اسمه الحركى عندما كان يعمل لحساب المخابرات الفرنسية وكنت على اتصال به حينئذ . وكان نص البرقية كالآتى : « أن مرشحكم السامى ١٨١٨ ب ، ت ١٣٠ سيدفع لبرت) .

ثم اطلعت على البرقية الثانية ، التى كانت من البرقيات العادية الصادرة من مكنب بريد ثرع جيارد بلندن ، ونصها كما يلى : (قرأت صحيفة في ج ، ك ، عن ٣ من ثانية ، » وكان التوقيع : أرتيميدوروس •

وتأملت البرقيتين • فكل من المرسسلين قد ضمن رسسالته ما

يختلف عن الآخر ، وكان واضحا أن جريئاد يحاول أن ينبئنى باذنى استطيع أن أستغل الاموال المودعة بالرقم الموضح بحساب أحد بنوك سويسرا ، وكان من اليسير أن أهتدى لاسم هذا البنك ، لأن لكل بنك تفرة تختلف عن الآخر ، ومجرد ذكر الرقم يكفى ليتبين البنك ما اذا كان الحساب مودعا به من عدمه ، وابتسمت وأنا أتساءل عما اذا كان هذا المبلغ نتيجة لعملية التزييف الامريكية أنتى سبق له الاشتراك فيها ، أما البرفية الثانية فكانت من تشادلى كافنديش ، العميل السرى لخدمات الاسستعلامات المشتركة ، وكان يميل الى لسابقة خدمة ولده معى بالجيش ، ولما قتل ابنه في الحرب ، واتصلت به بعد ذلك ، استمرت علاقتى به وكنا من حين لآخر ، وكان مرحا ميالا للدعاية ، مما كان حائلا بينه وبين تولى رفيسه المناصسب ، وكان يقيم بشغة بالقرب من التحف البريطاني .

وعدت أدراجى للحفل ، حيث وجدت الراقصين قد تضاعفوا عددا ، وتمايلوا نشوة ، وانجهت الى الغرفة التى أعدها الجنرال لتكون مكتبا ثانيا له ، وقلت للمراسلة الشاب الجالان خارج الغرفة ميتسما :

_ أظن أن الجنرال لا يريد أن يزعجه أحد ؟

فابتسم الجندى وقد بدا عليه الارتباك ولكنه لم يحاول أن يوقفنى، وأسرعت بدخول غرفة المكتب ، حيث أشعلت سيجارة لأنعم بتدخينها فى هدو، .

وكانت مجموعة كتب شكسير ، فاخرة النجليد ، تسر الناظرين وكنت أعدف ما أشار اليه صحديقى الذى وكع برفيته باسحم أرتيمدوروس ، أنه الشحهد النالث من الفصل النائى من يوليوس فيصر ، فقمت باخراج المرحية من المجموعة وجلست أقرأ ماورد بهذا الشهد .

وعلى الضيوء الخيافت المنبعث من مصبياح المكتب ، تبينت شخصا يقف بالباب ، وسمعت في الوقت نفسه صوت انطلاق أحد

الصواريخ المدوى . وتأملت الواقف بالباب ، فوجدت انه جندى طويل القامة · وبعد ان تقدم نحوى وتأكد من شخصيتى ، حيسانى قائلا:

- تعیات البریجادیر دائبی ، یاسیدی
 - _ نعم . ماذا هنالك ؟
- ونهضت لأعيد مسرحية شكسيير الي مكانها •
- ـ لقـد وقع حادث یا سبیدی و فقد انحرفت ناقلة احسدی المولدات الکهربائیة من الطسریق انحرافا خطیرا و کان اللیفتنانت مونتجومری مستقلا هذه السیارة و انی لجد آسف یا سیدی لازعاجك و لفد سالنی البریجادیر وهو یستقل سیارته ان اخطـسرلا بالحادن و و و مستقل سیارته ان اخطـسرلا بالحادن و و و و و مستقل سیارته ان اخطـسرلا بالحادن
 - ـ لا عليك من الاعتذار وشكرا •

ان هسدا الضسابط هو بادنی و انصرفت من فوری و کانت السحب قد حجبت عن الارض ضوء القمر ، فبدا اللیل مظلما عابسا وکان الجزیرة اتشحت بالسواد و کنت اکذب نفسی عما سمعته عن وفاة بارنی بارنز ، وامنیها بان فی الامر خطأ ما و انه العقل البشری، عندما لا یرید آن یصدق شیئا مما یقال ، یجنج دائما گیردد ما لم یسمع ویری و

وانطلقت بالسيارة اللينكولن كونتئتال في الطريق العام ، حيث لحت بسيارة دالبي التي كنت ارى انوارها الخلفية أعامى ، ثم رايته ينحرف يسارا بسيارته الى طريق الشاطى، ، اللي لم يعتن بتعبيده لقلة المرور به ، ورأيت دالبي ينطلق بسيارته بسرعة ، ميلا في الساعة بالرغم من وعورة الطسريق ، ولم اسستطع ان اتتبع مصابيح دالبي الخلفية ، لأنها كانت تختفي عن عيني من آن لآخر بحكم منحنيات الطريق ، وفجأة ابصرت لافتة حمرا، كتب عليها : تعذير ، توقف على مسافة ، وردة من هذه اللافتة ، فتوقفت حيث كانت الساعة

٢ و١٢ دقيقة صباحا • ولكننى لم اتبين اثرا لدالبي • لقد مرق من اللافتة الحمراء •

وبحثت عن سلجائرى • وقمت باشلها احداها ، بينما انقلب الليل نهارا ، نتيجة للانفجار المدوى الذى تردد صداه فى الجللين بأسرها •

- YY -

وفتحت باب السيارة ، لأخطى الى خارجها فى ضوء هذا الانفجار الذى احال الليل نهارا ، ثم خيم السكون على الجزيرة ، ولم يقطع حبله الا صوت .. صفارة » الانذار تدوى فى عويل غير منقطع •

وحلقت طائرتان هيليكوبتر في الجو في اتجاه چنزيرة شسوت والقيتا بقذائف يدوية في البحر • وكانت كل من الطائرتين ترسسل بانوارها الكشافة التي تخطف الأبصار • واستطاع البوليس الجوى أن يحدد مكان هدفه الذي يحاول أن يكشف عنه • ودارت احدى الطائرتين دورة كاملة واتجهت الى ناحيتى • وجلست حيث أنا لا أبدى حراكا • وكانت الساعة ٢ و١١ دقيقة ، عندما سمعت صوتا في المذياع يدوى مخترقا طبقات الهوا، ، لم أتبين لأول وهلة ماذا يقسول ، بالرغم من محاولتي هذا جاهدا • وكانت لهجة الصوت قوية آمرة عنيفة •

_ لا تحاول أن تتحرك من مكانك •

واقتربت الطائرتان من سيادتى • ثم ابتعدت احداهما قليلا لتسلط اضواءها على ما حولى • ورايت سلما يتدلى من برج مراقبة الطائرة الأقرب • كما استطعت أن أتبين على ضوئها الكاشف السيارة المحطمة وجثة الجندى المتوفى مدلاة الى النصف من زجاجها الأمامى • ولم يدهشنى أنه قضى نحبه بهذه الصورة • أذ لا يمكن لرجل أن يقاوم الموت في « كابينة » معدنية تتصل بنيار مرتفع القوة لمولد كهــربائي كبير .

وكانت السماعة ٢ و٣٦ دقيقة صماحا عندما أقبل الكولونيل المتحمس ليلقى القبض على • وفي الساعة ٢ و ٣٦٪ دقيقمة تذكرت القفازين الموجودين « بتابلوه » السيارة واللذين عثرت عليهما عندما كنت أبحث عن سجائري وتساءلت عما اذا كانا لبارني بارنز •

- 44 -

فتحت عينى على ضوء منبعث من مصباح قوة ٢٠٠ ـ وات ، يتدلى من السقف ، فأغمضتهما لأريحهما من عناء الانبهاد ، ثم أعدت فتحهما رويدا رويدا ، دون أن أحاول النهوض على قدمى ، ، وثرا أن أظل فى وضعى الذى يتفق مع ما أشعر به من اجهاد وارهاق ، ورايت الجندى الذى كان يجلس خارج غرفة مكتب الجنرال ، جالسا أمامى عبر الفرفة، مستفرقا فى قراءة مجلته التى كانت بيده من قبل ،

وكنت أمنى النفس بسرعة قيامهم باستجوابى ، حتى تنجلى الأمرد لى ولهم ، وكنت مستلقيا على احدى محفات جيش الولايات المتحدة ، وتاملت النافذة الموجودة بالغرفة ، فوجدت أنها قد أحكم اغلاقها ، ودرت بعينى فى الغرفة لأتبين أين ألقوا بى ، وخيل الى أننى فى غرفة من غرف المبانى الحكومية المقامة فى الطرف الشمالى للجزيرة ، ولم يكن بالغرفة غير تليفون موضوع أسفل المقعد الذى يجلس عليه حارسى، ولم يكن الحارس مسلحا ،

وبعد طول انتظار ، قدموا لاخراجی من الغرفة التی احتجزونی بها • وقرأت مکتوبا علی بابها عند خروجی « غرفة انتظار رقم ۳ » • وساروا بی بضعة أمتار فی الردهة •

وخلف باب كتب عليه « قسم الامن الطبى للضباط » ، دخلت الى غرفة مظلمة دافئة مزودة بغير أثاث ، قد انعكس ضوء مصباحها رأسا على المكتب الفاخر الذي وقع نظرى عليه عند دخولي الغرفة ·

والى هذا المكتب كان يجلس ضابط كبير برتبة البريجادبر انه البريجادير الذى كنا قد التقينا به فى الحفل وتبادل حديثا طويلا مع دالبى • وكان مشغولا بتناول ما أمامه من طعام ، حتى أنه لم يرفع عينيه الى ، وهو يشير بيده الى المقعد الجلدى أمامه ليأذن لى بالجلوس •

ـ هل لك في قدح من القهوة يا ولدي ؟

۔ کلا ، شکرا •

وكان صوتى بادى الغرابة حتى رفع الرجل عينيه لأول مرة وتأول وجهى وما عليه من كدمات نتيجة لما وقع على من اعتداء اثر اعتقال ، وكانت شفتاى متورمتين ، وهمادا ما جعل صوتى يبدو غير طبيعى ، واستطردت قائلا :

- _ لقد "أكلت" مافيه الكفاية -
- _ انك فتى شديد الراس اليك هذا •

وصب لى قدحا من القهوة أكثر فيه من قطع السكر • ثم دفع سهاعة التليفون ليأمر لى ببعض الطعام •

وبعد ان فرغت من تناول طعامی ، قدم لی سیجارا ، فلما اعتذرت عن قبوله ، قدم لی سیجارة من سجائر الجواراز المفضلة ، والح فی ان احتفظ بالباقی ، وکان الهدو، فی الفرفة ضاملا ، الا من دقات الساعة الکبیرة خلف مقعسده ، وکانت الساعة قد بلغت العاشرة والنصف ، وکنت اتنقل بعینی فی الغرفة الفاخرة الاثاث ، التی ان دلت علی شی، ، فانها تدل علی ما لشاغلها من مرکز مرموق افسح مکانا لما اراد ان یاتی به من متاع عبر البحسار الی جستریرة توکوی ، وعکف البریجادیر علی ما امامه من اوراق یدرسها ، وقال لی دون آن یرفع عینیه : « اننی مضطر آن اراجع کل ما یعرض علی من تفاصلیل » ، وخیل الی لاول وهلة آنه یعنینی بکلامه هذا ، ولکنه مد یده الی ببعض

الصور الفوتوغرافية • وكان من بينها صهورتان من صور تحقيه الشخصية لكوربورال في حوالي الثانية والعشرين من عمره • وبعد ان أعدت الصور اليه قلت :

۔ اذن فهو چندی ؟

- ومن خيرة جنودنا • لم يهض عليه بالجيش اكثر من سنة اشهر • هل تعرف شيئا ؟ ان أول مرة قدر له فيها أن يرى المحيط كانت في الشهر الماضي عند مروره بفريسكو • عندما تنتهى من تناول قهوتك ، ساريك نبيئا هاما •

ونهض عن مقعده ووقف يئتظر حتى افرغ من تناول قهوتى ، وقلت له بعد أن افرغت قدحى :

- قد يطول بي الأمد حتى يتاح لي تناول القدح التالي .

فابتسم قائلا: « قد يحدث هذا • سنعود الى غرفتك » • وكان الدهليز مضاء بمصباح ازرق اللون • ووجدت غرفة الانتظار رقم ٣ غير مغلقة • وفتحت بابها لأجد نفسى في وضح النهار ، مع أن الساعة كانت العاشرة والدقيقة الاربعين مساء •

وكان الفسوء قويا يخطف الأنظسار ، وقد فتحت النافذة على مصراعيها ، لينفذ منها ضوء شمس منتصف النهار الاستوائية ، ووجدت المحفة التي كنت استلقى عليها في مكانها بجوار الحائط اسفل النافذة، وعليها نفس الغطاء المتناثرة عليه بقع دمائي ، اثر ما نالني من اذي ووقع على من اعتداء ، وعلى هذه المحفة وجدت جثة عارية مثخنسة بالجراح ،

ومشى البريجادير الى حيث توجد الجثة بخطوات متههلة وهو يقول مشيرا اليها : « انه الكوربورال ستيف هارمون • وقد كتبت بها حدث له لقومه • انه الشاب الذي قتلته في الليلة السابقة » •

فضيت من الاربعة والعشرين ساعة التالية حوالى الاربع عشرة ساعة مع البريجادير، مع أن الاطباء كانوا قد نصحوا بعدم ارهاقى وعدنا في المساء الى غرفة مكتبه وكان هناك المزيد من القهوة والمزيد من الشطائر وبعد أن صب البريجادير لنفسه القدح السادس من القهوة في مدى نصف ساعة ، بدأ حديثه قائلا :

- ان ملفك الذى تحت يدى يا كولونيل به نلاثة نجوم ولهذه النجوم الثلاثة دلالتها وهى لا تعنى حتما أنك ممتاز فى عملك وانها تعنى أنك تشكل خطرا شديدا علينا وكما أنها تعنى أيضا وبالنسبة لى وانك بارع فى بحثك واستقصائك وانا لا أزعم لنفسي هده الكفاءة وها أنا الا شسخص يكلف بالكشف عن ثغسرات الأسلاك الشائكة لقد أخبرتنى بانك لم تزود تلك الفواصة الروسية بالاشارات اللازمة فى ليلة الخميس الماضية وبودى لو أصدقك وها عليك الا أن تفند ما أدليت به اليك من معلومات وتدحض كل حجة فيها ضدك وحتى تنهار وتتبدد خيوطها و

- ـ وااذا لا تكون الغواصة هي التي اطلقت انوارها الكاشفة ؟
- ۔ وهل فی هذا شك ؟ یقینا آنها قامت بدلك فعلا لاتحاول ان تماری •
- ۔ فما دام الأمر كذلك ، فما هي حاجتها الى عميل تستعين به على ذلك ؟
 - اصغ الى جيدا لقد تتبعنا الإشارة ، لأننا •••
- ۔ آیة اشارة ؟ لقد استغسرت منك عنها أكثر من مرة ، ولكنك لا ترید أن تخبرنی بشی، عنها •
 - ـ الاشارة التي قمت بارسالها ٠ الاشارة المتفق عليها ٠٠٠

لأنك ٠٠٠ لأنك ٠٠٠ قدر ١٠٠ لأنك قسدر ١٠٠ اننى أكبر سسنا من أن تعبث بى ١٠٠٠

۔ أظن أنه من حقى أن أتلقى الاجابة على ســـؤالى • أن هـــذا الاستجواب يمس حياتي كلها •

- كانت الاشارة ذبذبات كهربائية مرتفعة السرعة ، يمكن ان يعاد تفسيرها بعرضها البطى، • لقد حدث هذا في الليلة الماضية ، ونقلت صور بالطريق الالكتروني لبرج القاعدة •

۔ ولكن الظلام كان دامسا في الليلة الماضية ، فهل كان من الممكن التصوير في مثل هذا الظلام الدامس ؟

ما كان يجدر بى أن أخبرك بشى، ولكننا ما دمنا قد بدانا هذه الكوميديا ١٠٠ ان رجالنا غير واثقين فى الواقع: ربما كان للذبذبات الكهربائية العالية القدرة على التصوير فى الظلام • وربما تكون الغواصة قد سلطت أضسواء على السحب لتعكسها بالتسالى فى لحظة التصوير والارسال ، من تلك الأشعة الحمسراء التى لا يمكن أن ترى بالعين المجردة •

ودخلنا في مناقشة فنية طويلة كنت ندا له فيها · حتى اضطر اخيرا أن يشفع اقواله بعرض سينهائي قائلا :

- اليك هذا الفيلم • تلك هي سيارتك •

واستطرد معلقا على مشاهد الفيلم ، التى سبجلت كل حركاتى وسكناتى فى الليلة السابقة ، منذ أن توقفت بسيارتى الى أن حلقت الطائرتان فوق المنطقة التى توقفت بها ، الى القاء القبض على .

وكان من البسير أن أفهم السر في قصاصة الورق التي عثرت بها في صندوق الكرائبرى برف الحصن • أن البيانات التي كانت مدونة بها كانت الاسلوب القياسي للاتصال بالغواصات وهي تحت سطح الماء وتبينت أننى أحسنت صنعا بعدم الاحتفاظ بهذه الورقة وباعادتها الى الصندوق •

کانت الأیام التالیة من الأیام الزاخرة بالحرکة والاستجواب ، وفحص الأطباء والاختبارات ، تعرضت فیها لکل تجربة قاسیة یمکن ان یتعرض لها انسان ، ولقد أنسانی کل هذا نفسی وکیانی کله ، حتی أننی بدأت أشك فی وجود جین أو دالبی ، وأحیانا کنت أشك فی وجود ذاتی ، وتوقف بی الزمن عند الساعة ؛ و۲۲ دقیقة التی توقفت عندها ساعتی من قبل ، عندما تعرضت معی کا تعرضت که من أعمال العنف عقب القاء القبض علی ،

وفى يوم ما ، وربما كان هذا فى ليلة ما ، قدم الى غسرفة الانتظار رفم ٣ ، أحد ضباط جيش الولايات المتحدة برتبة كابتن ولم أحاول أن أنهض من فراشى الذى كنت مستلقيا عليه وكان فى نحو الثانية والأربعين من عمره وابتدرنى قائلا:

- ائهض على قدميك •
- فرفعت كتفي مستخفا به
 - انهض والا ركلتك •

ثم وضع يده في جيب حلته الأمامي ، ليخرج ورقة بيضاء فضها قائلا :

- ۔ هذا أور بابعادك ، موقع عليه من وزير الداخليسة ، انه من حسن حظك أننا نسلمك في مقابل تسليمنا اننين منطيارينا ، والا كان مصيرك غير هذا ،
 - ولماذا تستبدئني انجلترا باثنين من الطيارين ؟
- انجلترا! هو هو هو! انجلترا! انك لن تذهب الى انجلترا أيها الخنزير انك ذاهب الى المجر اللهم سيكونون بحاجة البك ليقتصوا منك لتعكير صفوهم
 - ـ هو هو لك ! سأحتفظ لك ببعض ما يقدم الى •

وكم يكن بوسعى الا أن أسخر منه ، لأننى لم أحمل ما قاله عن تسليمي للمجر محمل الجد في أول الامر .

غیر اننی عدت للتفکیر فیما سمعت جدیا زهاء ساعتین • وشعرت بعجزی عن القیام بشیء • حتی الاتصال بدالبی وجین کان متعذرا علی • ولم یبد فی افق تفکیری بادرة امل یمکن ان اعول علیها •

وقطع على حبل تفكيرى قدوم احد الأطباء بمحفة طويلة على عجل، ملحق بها عارضة عليها اثير وقطن ومحقنه و وبعد أن تحسس دقات نبضى وقلبى ، وتفرس في عينى ، سألنى أن استلقى مسترخيا على محفته وصدعت بما أمرت به ولكننى سألته :

- _ كم الساعة الآن ؟
- ـ الثانية والثلث •
- ثم دلك ذراعي بالاثير ، وحقنني تحت الجلد
 - كم الساعة ؟
 - الثانية والثلث •
- كم ، كم ، كم الساعة ، الساعة •

وانكرت صوتى • لقد كانت نبراته غريبة على ، كالصدى المعدنى الأجوف • ورأيت الطبيب فى معطفه الابيض يتضاءل ويتضاءل ويبتعد عنى ويبتعد ، مع أنه كان لا يزال ممسكا بدراعى • واختلط على ذهنى؛ واختلطت على الرؤية ، وشعرت باننى أغوص ثم أطفو ، حتى غبت عن الوعى ، واسدلت على عقلى ستر الحجب •

وصعدت من اعماق فقدان الوعى ، الى سطح اليقظة رويدا رويدا وطفوت من الظلمة التى غصت فيها ، الى النور الذى بدأ ينفذ الى ثنايا عقلى ويفيء عينى • وبدأت أحس بآلامى ، فبدأت أتحقق من أننى مازلت أحيا وأعيش • ان جسدى يؤلنى ، اذن فأنا أعيش •

ستواستطعت أن أرى ساعتى المعطمة على ضوء نافذة صغيرة • وكانت

عقاربها تشير الى الساعة ٤ و ٢٢ دقيقة • تلك الساعة التي توقف عندها الزمن بالنسبة الى • وسمعت اصواتا عن بعد • ولم اتبين منها كلاما ، بل كانت اصوات أنات وذفرات •

وبدأت استعيد كمال وعيى ، واحس بحقيقة ما هو حولى ، قبل أن تستعيد عيناى قدرتهما على التركيز والرؤية المفصلة ، واغمضت عينى واستسلمت للكرى ، وقضيت آياما وليالى مرت ثقالا ، وكانت ساعاتى آياما وليالى مرت ثقالا ، وكانت ساعاتى آياما وليالى اسابيع ، وكانوا يأتوننى بطعام تعافه النفس ، لا أمد له يدا الا بعد أن يعضنى الجسوع بنابه ، وكشيرا ما كانوا يعودون به دون أن أتناول منه شيئا ، وكان الرجل الذي يحمل الى الطعام واحدا لا يتغير ، بشعره الاشقر القصير ، وبوجهه البارز العظام، وبحلت الرمادية اللون ذات القطعتين ، وفي يوم ما ، بينما كنت جالسا على ارضية الغرفة في ركن منها ساذ لم يكن ثمة بالحجرة آية قطعة من الأثاث سسمعت مزلاج الباب يرفع ، ليدخل منه كوبلاى خان، حامل الطعام الى ، ولكنه لم يكن يعمل طعاما في هذه المرة ، ولم اكن قد سمعت صوته من قبل لأنه لم يسبق له أن وجه الى كلاما ، قال : قد سمعت صوته من قبل لأنه لم يسبق له أن وجه الى كلاما ، قال : ه ان السماء زرقاء والأرض سوداء » ، فتطلعت اليه بعيني دون ان اعقب بشيء ، وسمعته يعيسه ترديد : « ان السسماء زرقاء والارض سوداء » ،

_ وماذا بعد ؟

فتقدم منى وصفعنى • ثم عاد ادراجه من حيث أتى بعد أن أحكم غلق الباب • واستغرق منى ادراك أن على أن أردد ما يقوله كوبلاى خان • يودين كاملين • وما أن جعلت من نفسى ببغاء يردد ما يقوله حارسى ، حتى كان الجوع قد بلغ بى اقصى مداه ، فأتيت على طعامى دون أن تعانه نفسى • وكنت أسمع منه أحيانا : « النار حمراء والسحب بيضاء » أو « الرمال صفراء والحرير ناعم الملمس » • فأسرع بترديدها بعد أن تعلمت ما يجب على عمله •

ورایت أن أخط بأظافری علامات على الجداد ، أعرف بها عدد أیامی ، بصرف النظر عها مفی منها ولم أستطع له عدا •

وبعد خمسة وعشرين يوما من نتيجة حائطي المبتكرة ، اقبل كوبلاى خان لينبئني بأن هناك ذائرا سمح لى باستقباله لفترة لا تزيد عن الست دقائق و بعد أن سمعت حركة غير عادية بالدهليز ، فتح حارسي الباب لضابط مجرى شاب برتبة الكابتن و وتحدث الى بلغة انجليزية سليمة قائلا: « لقد طلبت مقابلة السفير البريطاني » و

ـ لست أذكر ذلك •

ـ اننى لا أسألك ، بل أقرر واقعا ، ان سكرتيرا من السفارة قد قدم لقابلتك بناء على طلبك ، وسأتركك لتنفرد به لست دقائق ،

وانصرف مبتسما كما دخل مبتسما • وفتح كوبلاى خان البساب لرجل طويل القامة ، قدم نفسه الى على أنه السكرتير الثالث بالسفارة • وصادحنى بأنه لا يوجد كديهم ما يثبت جنسيتى الانجليزية ، وان كنت أبدو كذلك في عينيه • وكان مرتبكا ، حتى أننى قلت له :

معدرة یا سیدی ، ارجو الا تسیء فهمی ۰ هل لی ان اطلع علی ما یثبت شخصیتك ؟

فضاعف هذا من ارتباكه قائلا:

- على الاطلاق ليس لدى مانع •
- ۔ لست أعنى أوراق تحقيق الشخصية أو ما الى ذلك ، انك تفهم ما أعنى ، أريد أن أرى أو أسمع منك ما يدل على أنك على اتصال غير منقطع بمجريات الأمور في بلدى ،

والقى على مسامعى الكثير مها أبغى ، واردف معتدرا عن عدم استطاعة السفارة أن تقوم بشى، من أجلى موضحا الاسباب ، كما لاحظت من أقواله أنه كان شديد اللهفة ليعرف منى ما أنا بسبيل الافضاء به عن دالبى وجهازه ، وما أذا كنت سأتهم أحدا منهم بشى، ، وماذا سيكون من أمر أقوائى أمام شرطة المجر في حالة استجوابى ، وانصرف ، وتنيت

لو لم يحضر • وما كان اغناني عن هذا الذي صارحتي به ، من انتي لم أعد من رعايا بريطانيا •

وعاد سكرتير السفارة البريطانية ثانية ليزورني ، وكان في هذه الرة بصحبة الضابط المجرى الذي تولى عنه الحديث في حضوره قائلا :

- ان حکومة جلالة الملکة لا يمکن بئی حال ما أن تعتبرك من رعايا بريطانيا • وبنها، عليه ، ستكون محهاكمتك في ظل القانون المجرى •

ولم أسمع من سكرتير السفارة البريطانية تعليقا على ذلك ، غسير ابداء أسفه ، أما أنا فعفبت على هذا الاعلان قائلا :

_ مجاكمة ؟

واستلقیت علی الأرض – فراشی الونیر الجدید – لاجنا الی النوم لعله ان یریعنی مها یضطرب به ذهنی وتجیش به نفسی و ولم یکن تفکیری لیدور الا حول ما یتردد علی طرف لسانی فی همس: « اذا لم تخرجونی من هنا باسرع ما یمکن ، ایها الزملاء الأعزاء ، فان الکنیر سیحیق بکم » •

وكان ضابط الجيش يأتى لزيارتى بين يوم وآخر ، لأنه قد عين للدفاع عنى • وفى أول زيارة له بصفته الجديدة ، تلا قائمة الاتهام التى استغرقت منه حوالى الساعة • وكانت باللغة الجرية ، ولكنه كان بترجم لى بعض عباراتها الهامة ، « كعدو الدولة » و « الخيانة العظمى » و « التأمر ضد الشعب » و « الامبريائية » و « الرأسمائية » •

وبلغت علاماتى التقويمية أربعسة وثلاثين عدا ولم أعد ستيف ريفز من شدة ما قاسيت وطول ما عائيت وكنت اشعر بأن حالتى الجسمانية والعقلية فى تأخر مستور وما لم تقع المعجزة التى تخرجنى من سجنى هذا ، فانه لن يتبقى من ذاتى التى أعرفها وأحبها سى، ولكن ، أنى لى هذه المعجزة ! أننى يجب أن أكون « هودينى » آخس لأنفذ من هذه الجدران وأقتحم هذه الابواب •

وفي اليوم الخامس والثلاثين ، قلبت الامر على كل وجه ، محاولا أن أستجمع شتات ذهني وأفكر في هدوء وتعقل • أن سبيلي الوحيد هو هذا الباب • انه السبيل الذي لا بديل عنه لأخرج من سجني • ولم يشند من حراسي عما كان متبعا من احكام غلق الباب ، سوى حارسي العجوز الذي كان يتولى نوبة الحراسة في بعض الليالي ، ويقف خارج الباب احيانا ليراقبني من فرجته • والليل هو الوقت المناسب للعساولة تسللي مستترا بظلامه • وفررت أن أبدأ بهذه المحاولة في تلك الليلة • وتظاهرت بأننى مضطجع على الخائط لأستريح ، بعد أن أحكمت قياس خطواتي الى هدفي ، وهو الباب • وعندما أقبل الحارس ، لم يقدرب منى بما فيه الكفاية • ولم أتحرك بدورى • وخلدت الى النوم • ومرت ليلة أعقبتها أخرى • وفي الليلة النائنة ، وقف الرجل في فرجة الباب يقدم لي سيجارة • فصفقت الباب بكل قوتي في وجهه ، واصطدم برأسه صدمة سقط في اعقابها على الارض فاقد الوعي • وأسرعت بسبحبه الى الداخل • وجردته من حلته وغطاء راسه وأسرعت بارتدائهما فوق ملابس السجن ثم أحكمت غلق الباب وتسللت الى الخارج في الظلام • ومن الدهليز هبطت الدرج الى الردهة الرئيسية ، حيث أبصرت بشعاع من الضوء ينفذ من قاعدة باب على يميني ، كانت تنبعث من غرفته موسيةي امريكية هادئة • واتجهت صوب الباب الرئيسي الذي لم يكن معينا علبه حرس • فقررت الا أقربه لما ساورني من شك ، واتجهت الى اليهين ناحية باب احدى الغرف الظلمة ، وفتحته ثم دخلت منه الى حجرة استطعت أن ارى بها على ضوء القمر بعض صهدواوين الملفات والكتب التي تغطى جدرانها • وتحسست بأصابعي اطار النافذة لأتحقق مها اذا كانتمتصلة بجهاز انذار كهربائي من عدمه • وفعلا وجدت أسلاك الاتصال التي يكن ان تؤدي مهمتها في حالة فتح النسافذة • وبينما كنت أقوم بقطــع هذا الاتصال وطأت قدمي قلم رصاص أحدث صوتا عاليا في هذا السكون الليلي • وتوقف صوت الموسيقي التي كانت تنبعث من جهاز الراديو في

الغرفة المجاورة · وخشيت ان يكون ذلك نتيجة للصبوت الصبادر عن تحطيم القلم بقدمى · فأمسكت أنفاسي وأنصت · وسرى عنى لما سمعت الراديو يعود الى اذاعة موسيقى محطة ارسال أخرى ·

وفرغت من تعطيل عمل الجهاز بالنسبة للنافذة وفتحت النافذة وتسللت منها ففزا الى الحشائش المبتلة أسفل قاعدتها وفى هـذه اللحظة بالذات سمعت الباب الأمامى يفتح ، ورايت شعلة تتحرك بضوئها فى الغرفة التى كنت قد تركتها منذ دقيقة على الاكثر ولم يحاول احد أن يقترب من النافذة التى كنت قد أعدت ايصاد «دلفها» دون احكام غلقها ولكنها بدت للرائى من الداخل وكانها لم تفتح ، وبالذات اذا كان هذا يعلم بأمر الانذار الكهربائى الذى عطلت فاعليته و وظللت قابعا ئى يعلم بأمر الانذار الكهربائى الذى عطلت فاعليته وظللت قابعا ئى مكانى حيث انا لا أتحرك ورايت سيارة تسرع براكبيها ، غير أننى ما استطع أن أتبين تبيئا مها كانا يقولان و

ونهضت استحث الغطى صوب مؤخرة المبنى · وكنت مطمئنا بعض الشيء الى ملابسي الغارجية الرسمية · وانتهت بي خطواتى الى السود الخلفى الذي كان بارتفاع قامتى · وتحسست بيدى لأتبين ما اذا كانت به اسلاك شائكة او قطع من الزجاج المدبب · ولما تأكدت من عدم وجود شي، من هذا القبيل مددت ذراعى وقبضت بيدى على أعلى الجدار تهيؤا للقفز · وليس من شك في ان هذا يتطلب من القوة التي تعينني على القفز مالم يكن متوفرا لى في هذه الآونة الاخيرة · وسمعت نباح كلب عن قرب منى · وتلفت ناحية مبنى السجن ، فرايت ضوء شعلة كاشفة يتحرك في برج المراقبة · لئن اتجه الضسوء الى ناحيتى ، فان أمرى سينكشف · وبكل ما اوتيت من قوة اسرعت باعتلاء السور ، قبل أن من تتم الانوار الكاشفة دورتها ، ثم القيت بنفسي في الناحية الاخرى منه في نفس اللحظة التي سلطت فيها الانوار الكاشفة على البقعة التي كنت أفف بها منذ بضع ثوان · وكان بودى الا أنهضي من هذا الفراش من العشب الوثير ، لأنعم مستلقيا باستنشاق نسيم الليل النقى ونسسيم العشب الوثير ، لأنعم مستلقيا باستنشاق نسيم الليل النقى ونسسيم

الحرية العزيز على النفس • وكنت متعبا مجهدا منهوك القوى • ومع ذلك فقد كان على أن أنهض وأواصل خطاى لأستكمل حريتى ، وأنطلق بعيدا عن سجنى ومكان أسرى • وبعد قليل ، تعثرت خطاى فى بعض الاعشاب اليابسة والاسلاك ، فسقطت على الارض محاولا أن أتخلص منها • وأبصرت بشعاع من الضوء فوق رأسى وظل رجل يتوسط اطاره قائلا :

- من هناك ؟ ابتعد عن « نباتى المعترش » ، أيها الغبى ! وفى هذه الدقيقة ، سمعت ساعة تدق العاشرة مساء •

- 77 -

قد يكون من اليسير الآن أن أدعى أننى كنت أعرف الإجابة عن كل ما يتعلق بمعميات هذه المرحلة ، من اليسير أن أزعم بأننى كنت أعسرف أنهم يحتجسزوننى فى قصر كبير لحسساب لندن الى آخسر ما هو من هسدا القبيل ، كلا ، أن سُينًا من هذا لم يحدث ، لقسد خيل الى شىء من هذا القبيل ، ولكن حدسى تبدد مع الايام ، وحل محله يقينى بما كنت أعانيه من عذاب الجوع والحرمان والمعاملة غير الكريمة التى كنت ألقاها من كربلاى خان ، هذا اليقين الذى باعد ما بينى وبين فكرة أن لندن كانت قريبة منى ، لا تكاد أن تبتعد عن سور الحديقة فكرة أن لندن كانت قريبة منى ، لا تكاد أن تبتعد عن سور الحديقة المحيط بسجنى ، ولذلك بدأت أفكر فى الهرب حتى اختمرت الفكرة فى دأسى ، ثم استجمعت كل قواى لأخرجها الى حيز التنفيذ والعمل الجدى ،

وما دمت قد وفقت فی خطوتی الاولی ، فلن یکون من العسیر آن ادبر آمری للهرب من منزل مستر کیتنج ، « الف کیتنج هو اسمی » ، کما آخبرنی بذلك صاحب الحقل الذی تعثرت به ، بعسد آن آخبرته بقصتی الزعومة عن مشساجرتی مع ذوج آختی الذی کان ثمالا ، وعن

محاولته القضاء على مما اضطرني الى أن أطلق ساقى للريح هربا منه •

واستدرت هذه القصة المغتلقة عطف الف كيتنج على وضاعف من ذلك ما كنت أبدو به من سوء حال بعد أن لطخت الأوحال وجهى وثيابى، وتناثرت دماء يدى نتيجة لمحاولتى الفكاك من أسلاك واعشاب نباته المعترش و لا لاحظت أن ألف يتأمل فى فضول حلة حارسى قلت له : « لقد كنت مضطرا أن أجد لى عملا ، حيث عينت حارسا ليليا ، ليسهل على النسوم فى أى مكان نهادا ، وسأدفع ثمن ما ألحقته بنباتك من خسائر » .

فاوما براسه آسفا ، واخرج من جیبه صندوق « نشوق » دعانی الی مشارکته فی الاستمتاع بشیء منها ، ولکننی اعتذرت شاکرا ، واعدا ایاه بصندوق جدید بدلا من صندوقه الذی کاد آن یبلی •

فشكرنى ودعانى لأغتسل • ورجوته أن يرافقنى فى الطريق ، لاحتمى به فى حالة لقائى بزوج أختى ، الذى لن يئير المتاعب ما دمت فى صحبته •

فوافق متحمسا • وحتى لو أثار المتاعب ، فانى كفيــل بأن اوقفه عند حده • لست ممن يطلقون سيقانهم للربح أمام أمثاله أو يولون الادبار منهم •

وقلت له مودعا: « انى لشاكر لك كل ما كلفتك من عنا، ، وسأبعث اليك بتعويض ما أتلفت يوم الجمعة » •

- ولكننا في يوم الجمعة
- ـ أعنى يوم الجمعة القادم ، لأننى أعطيت لزوجتى أجرى عن هذا الاسبوع •
 - _ لا عليك من هذا •

وفى آخر لحظة وهو يودعنى عند معطة الاتوبيس ، منحنى ستة بنسات وبعض قطع من العملة النحاسية ، وشيعنى بنظرة عطف ، وأنا أستقل الاوتوبيس • سمعت عامل الترنك يستفسر من تشارلى عما اذا كان يقبل الاتصال بمكالمة محولة عليه بالدفع ، فوافق ، وبعدها ضعطت المحول « ۱ » قائلا : « هذا صديق لريج » •

- لقد تبيئت صاحب الصوت •
- ـ مستر كافنديش ، اننى أواجه بعض المتاعب .
 - ـ هكذا ؟ هل تسلمتها ؟

وكان يشير بهذا الى البرقية التي بعث بها الي في توكوي .

- اجل وشكرا .
- ـ ماذا بوسعى أن أقوم به من أجلك ياولدى ؟
 - _ هل تستطيع أن تقابلني الآن ؟
 - ۔ ـ بكل تاكيد ، اين ؟
 - . ـ شکرا .
 - أين ؟ لم تخبرني بمكان اللقاء .

فتوقفت قليلا ريثما أعد ما أخبره به: (في سجن مظلم تحيطه من كل جانب النيران التي يتصاعد منها لهب لا يضيء » •

- ۔ قد لا تفهم من ذلك شيئة ، ولكنها كانت تعنى الكثير ليلتون وتشارلي ،
- ۔ لقد أدركت ما تعنيه · سأوافيك هناك في ثلاثين دقيقة وسادخل قبل أن تحضر وأدفع لك · هل تريد شيئا خاصا ؟
 - اجل ، انی ابحث عن عمل ،
 - فضحك تشارلي وانهي الكاللة.

لم يكن هنالك اضواء داخلية . غير أنه من خلال النوافد الفهخمة التى تعتبر أحد جدران الحجرة ، كانت تنفذ أضواء تمكن من بالداخل من رؤية ما بالخارج . وكان تشارلي ملتحفا بمنشفة ، واقفا كالشبح بين سحب البخار ، وسمعته يقول لي :

- يالها من فكرة انها فكرة لا باس بها لقد اتيتك ببعض ببعض ثياب ديح ان مقاسه يكاد أن يقارب مقاسك ان هذه الحمامات التركية مهدئة للاعصاب •
- هل تعرف یامستر کافندیش ، لم اجد من اتصل به غیرك و کان لا بد لی ان الجا الیك •
- ۔ ولو كنت فعلت غير هذا ، ولجأت الى غير العم تشارلى ، لكنت غضبت منك وحاسبتك حسابا عسيرا .

ان لتشارلى روحه المرحة • ولطالما القى على مسامعى أبياتا من قصائد ((الفردوس المفقود)) ، في هذا الحمام التركى وفي غرفة البخار هذه بالذات • ورايته يتأمل السحجات فى وجهى والندبة التى فى صدغى ، قائلا فى صوت رقيق « وكأنى بك وقعت فى فخ شائك » •

- وهذا ما كان فعلا . والأدهى من ذلك أنهم بعثوا الى ليتقاضوا ثمن ما الحقت بهم من خسائر .

وأصر تشارلي على أن أذهب معه الى منزله ، لأنه لاحظ ماكنت عليه من ارهاق وضعف ، وكاد أن يحملني الى سيارته الهليمان التي كانت خارج باب الحمام التركي في شارع جيرمين ،

ولما استيقظت في صباح السبت ، وجدتنى في فراش تشادلى ـ الذى تركه لى وقضي الليل على أربكنه . ونفذت الى أنغى ارومة البن المغلى واللحم المقدد ، مع ما كنت اشعر به من دف، المكان وهدو، جوه .

ولست ممن يتقنون تقدير الاشياء عدا ، ولكننى أحاول ذلك بتقدير عدد ما يوجد من كتب بشقة تشارلى ، بحوالى ثلاثة الاف كتاب ، بمعنى أنها كانت تفطى جميع جدران منزله .

وكنت جالسا بفرفة العيشة اليومية ، عندما أقبل تشسارلي يعمل أقداح القهوة وقطع اللحم القدد قائلا :

- ـ ها قه نهضت من فراشك أخيرا .
- أوه ، لست أدرى كيف أشكرك .

۔ هل يضيرك أن تستمع لشيء من الموسيقى ؟ _ كلا ، بل ائى لفى أمس الحاجة اليها ·

ودارت الموسيقى بالحركة الثانية من المقطع ١١ من سيمةونية موزار ، وحملنى اللحن على اجتعة الخيال الى تلك الامسية البعيدة التى كنت أجلس فيها مع أديم نستمع الى هذا اللحن الصادر من راديو الفيلا التى أقمنا بها على مشارف لبنان ،

وبعد ان فرغت من تناول افطاری ، جلس تشارلی یقرا مجلة الانکوئتر ، ونهضت الی غرفة النوم لاستریح قلیسلا بعد ان شعرت بیعض الاجهاد یعاودنی ، ولائنی کنت آوثر آن آنفرد بنفسی لاستعرض کل ما مر بی ، بعد ان سردت علی مسسامع تشادل کل ما کان من امری ولاننی کنت آرید آن آفکر فیما آنا فاعل بعد مفادرتی لمسسکن صدیقی الذی لا آرید آن آشرکه فی امری او آورطه فی مشکلات حیاتی، وبالذات هذه الشکلات الحساسة الخطیرة ، فهاذا عسای آن آفعل ؟

ان دالبی ، فیما یبدو ، یجب ان یستبعد الی حین من تفکیری . وکذلك كل من یعمل معه ، وحتی روس لم یكن ضمن قائمة من أود أن الجا الیهم ، واذا ماتقدمت الی القیادة العلیا للجیش ، فسیسمع دالبی بذلك قبل أن یجف حبر الطلب الذی أتقدم به ، اذن فیمن أتصل ولن الجا ؟

او الجا لرئيس الوزداء ؟ لقد راودتنى هذه الفكرة لنصف دقيقة . ولكن ماذا ترى بوسع دئيس الوزراء أن يفعل ؟ انه سيستشير في ذلك أعضاء مجلس الوزراء . وهؤلاء سيقومون بالتالي باستشارة جهاز الأمن المسئول . ومن عساه أن يكون رئيس الجهاز الذكور ؟ انه دالبى . وهكذا تعود الدائرة فتضيق حتى تتركز في دالبى . انه المخرج الوحيد لا أنا فيه من مأزق .

اذن ، فلا معدى لى عن الاتصلال بدائبى مباشرة ، اليس هدن أعمل معه فعلا ؟ ولكن كيف يتسق هذا الوضع مع ما سبق من ملابسات وظروف ، اننى شخص مشكوك في ولائه ، حتى كادت حكومتى أن تضحى بى . ولكننى بالرغم من كل ذلك ، مازلت على قيد الحياة ،

وتذكرت فجأت بارنى وهو جثة هامدة في سيارة المولد الكهربائى. وتساءلت عما اذا كان ما دار بخلدى صحيحا . ان في ذلك بعض الصحة . ولكن اذا ما كان بارنى قد قتل لجرد تحذيره لى ، فهاذا يكون مصيرى وأذا صاحب الدور الاول ؟ ترى ماهى حقيقة موقف الامريكيين منى ، وما هى حقيقة موقف المجريين ؟ وهل كان دورهما أصيلا ، أم نراه كان ... ؟ كلا ، فلنستبعد هذا الاحتمال الآن .

وظللت أقلب الامر هكذا على كل وجه وناحية ، مستعرضا مشكلتي من كل جانب لها ، لعلني أن استبين كنهها أو أميط اللتام عما اكتنفها من غموض دون جدوى ، وكنت أعود من حيث بدأت ، لا أجد لها حلا ، وغلبني النعاس من فرط ما نائني من أعياء ذهني .

وصحوت من نومى لأجدا تشارلى واقفا أمامى يحمل قدحا من الشاى وقطعا من البسكويت قائلا ، لقد كنت تصيح فى نومك بمالم استطع أن أتبينه و ومر بى يوم السبت هكذا فى دعة وسكون وكذلك كان حالى فى يوم الاحد و ولقيت من رعاية تشارل وحدبه ما أخجلنى وفى مساء الأحد ، جلست استمع الى الراديو ، وأتأمل قصاصة الورق التى أمامى ، والتى اعتزمت أن أدون بها خطة عملى •

وشعرت بتحسن بعد ما أخلدت له من داحة ، ونعمت به من طعام طيب . ولكنني ، مع ذلك ، لم أعد لحالتي الطبيعية ،

وتهمنت في الورقة التي كانت بيدى ، ووجدت أننى وضعت خطا نحت اسم دالبى ، ثم أشرت بسهم من هذا الخط الى اسم أليس في ناحية ، واسم روس في الناحية الاخرى ، وذلك لأن دالبي لو كأن يزمع التضحية بى ، فانه لن يجد من يعاونه في ذلك خيرا من روس ورجال المخابرات العسكرية ، وقرنت بين اسمى موراى وكارسويل ، فيما وضعته أمام اسميهما من علامة استفهام تعنى الجهالة ، بعد أن ألحقهما دالبي بقسم من أقسام وزارة الحرب التي عفا عليها الزمن ، ثم كان بالقائمة اسم تشيكو ، الذي له عقلية لا تزيد عن عقلية طفل في الرابعة ، والذي كان آخر اتصال بيني وبينه عن طريق التليفون في الرابعة ، والذي كان آخر اتصال بيني وبينه عن طريق التليفون

عندها كان بناحية جرانتهام . أما جين ، فهى شخصية أخزى معيرة. صحيح أنها جازفت بالكثير لتساعدنى في نوكوى ، ولكن الى أى حد كانت مخاطرتها هذه وقررت أن أبدأ بلقاء دالبى غير أنه كان ثهة أمر يجب أن يتم قبل ذلك .

وما أن وافت الساعة التاسعة والنصف مساء ، حتى استقر رايى على أن اسال تشارل خدمة أخرى ، وفي تمام الساعة العاشرة مسلما، ، كان قد غادر المنزل ، وخيل الى أن كل شيء يعتمد عسل ما سيقوم به تشارلي ، وجلست أتأمل صورة ابنه ريج المفوتوغرافية الكبيرة في زبه الرسمي ، وتذكرت ما كان من أمر مقتله عندما داهمته سيارة نقل في بروكسبل بعد أن اشترك في الحرب طوال أربع سنوات، وكيف جئت بنفسي لانقل النبأ المشئوم الى والده ،

وتذكرت ما كان من والده بعد أن حملت اليه النبا المفجع وتفصيلات مقتل ولده ، عندما دخل الى الطبخ بعد لنا التهوة ، وعاد ليتحدث فيما كان الناس يتحدثون به في تلك الأيام ، وفيما يتحدث به كل من يرغب في أن يبتعد بحديثه عما يجيش بصدره من الام .

وها هي الايام ، وتنقضي ، ويدور القدر ، لاءود لأجلس في نفس الغرفة بين كتب كافنديش في انتظار عودته ·

وما أن وافت الساعة الحادية عشرة وخمس وعشرون دقيقة مساء، حتى سمعت وقع خطواته عائدا ليقول لى :

ـ انها شفرة لا أثر لرموزها في أي مكان . انها لم تكن وليس لها وجود .

- أو تمزح ؟ كان يجب عليك أن تبحث عن الاسسم بين رجال الجيش الهندى .

- اننى لم أقتصر على هذا في بحثى . لقد اتصلت بمكتب الاحصاء في كلكتا . انهم لا يعرفون ج - ف كارسويل . ولا يوجد غير ب ، ج ، كارسويل ، ولكنه لا يتجاوز السادسة والعشرين من عمره .

- كلا . أن هذا يبتعد بنا عنه كثيرا .
- هل أنت واثق من أن الاسم صحيح ؟ ربما أنان كارويل ؟
- كلا ، كلا ، انتى متأكد من حقيقة الاسم ، لقد ق:ت بالكثير من أجلى ،
 - لکم یسرنی هذا

وكنت أشعر بأن الرجل يقول ذلك من أعماق قلبه ، دون اكلف أو مجاملة . ثم قلت له :

- بودی او ادخل معك فی تفاصیل القصة لنستعرض دقائقها معا ، عسانا ان نهتدی معا كا یجب عمله ۰
- ۔ أفضل ألا تفعل ذلك الآن ، لقد عرفت الكثير من أسرارها فلا. ساوى الى فراشى الآن ، واذا ما ألهمت حلا ، خبرنى به ،
- طابت ليلتك . سأجتهد أن أضع النقط على الحروف لأخرج بنتيجة منها .

ولكننى كنت أسَك في أنه سيتيسر لى ذلك ، فقد كانت القصة بالفة التعقيد ، أقرب ما تكون للاحاجي والألفاذ .

- XX -

يوجد بالقرب من ميدان ليشستر بعض حوانيت لبيع الصحف، اختصت بهذا الطراز من المجلات الجنسية ، كما اتخذها البعض مركزا لتلقى الرسائل التى لا يودون أن تسلم لهم بمنازلهم .

ومن احدى هسده الوكالات تسلمت الرسسالة الواردة باسمى المزعوم • واسرعت بفضها ، لأستخرج ما بها ، وما كنت أعرف أنها تحتويه ، من مفتاح جدايد ، وجواز سفر صادر من المملكة المتحدة ، وجواز سفر أمريكي (مرفق به بطاقة ضمان اجتماعي بنفس الاسم) ، وجواز سفر من سكرتارية الامم المتحدة ، ومع كل جواز سفر دخصة

قيادة دولية وبعض الفواتي والمظاريف المستعملة بنفس الاسم الوارد بالجواز ، كما وجدت دفاتر شيكات صادرة من البنك الملكى ، بكندا ، ومن بنوك مانهاتان ووستمنستر وبنك داى ايشى بطوكيو ، وايصال دهى وعشرين ورقة مالية من فئة العشرة شلنات ، وبطاقة تصريح مزيفة منسوبة الى شرطة العاصمة ،

ووضعت المفتاح ، وايصال الرهن ، والتصريح المزيف وأوراق البنكنوت في جيبى ، وأودعت سائر المحتويات الآخرى في مظروف جديد ، وتوجهت الى صندوق للبريد حيث القيت بهسدا المظروف ليعاد الى نفس المنوان . ثم أوقفت سيارة أجرة أقلتنى الى أحد بنوك المدينة حيث تقدمنى كبير الكتاب الى القبو . وهناك فصدت الى صندوق الأمانات الذي فتحته بالمفتاح الذي معى وأخرجت منه بضمة أوراق بنكنوت من فئة الخمسة جنيهات . وكان الكاتب قد تركنى بمفردى . وعندند أخرجت من تحت الاوراق المالية الاخرى صندوقا من الورق المقوى فضضت أختامه لاستخرج منه مسسدسا أوتوماتيكيا عياد ٢٢ ، أسرعت بوضعه في جيبى ، كما وضعت في الجيب الآخر بعض الطلقات ،

وغادرت البنك متجها الى شارع جاردنر حيث قصدت بنك الرهونات وهناك دفعت مبلغ ١١ جنيها و ١٣ شلنا وتسلمت حقيبة سفر ، كان بها حلة من الصدوف داكنة الاخفراد ، وسروال من القطن ، وثمانية قمصان ، وأربطة عنق ، وجوارب ، وملابس داخلية ، وزوجان من الأحدية وكريم حلاقة ، ومشط ، ومعطف من البلاستيك ومطواة ، وبوصلة ، وتحت بطانة العلة اخفيت اوراق بنكنوت من فئات مختلفة ، كما وجدت مفتاحا آخر لصندوق ايداع آخر وكان هذا أيضا بمثابة بوليصة تامين جاسوسية ،

وحجزت لى غرفة بفندى قريب من ميدان بدفورد . ثم توجهت لمقابلة تشارل بطريق توتنهام كورت · ووجدته في الساعة المحددة كما هي عادته دائما ، حيث كانت الساعة ٢٩٤٧ ظهرا . وخلعت معطفي

الواقى من المطر وسلمته له ، واخرجت معطفى البلاستيك من جيبى ، وأخبرته بأننى تركت مفتاح مسكنه بغرفتى بالفندق ، وأوصانى خيرا بنفسى ، ورجانى أكثر من مرة أن أتصل به اذا ما كنت بحاجه الى معونته متى شئت .

وتركت تشارل مودعا • وتوجهت الى شسادع شفتزبرى ، حيث دلفت الى بناية كتب على بابها بالاحرف الباردة « مكتب ووترمان لوكائة البوليس السرى العالمية . » ودخلت لأجد مخبرا خاصسا جالسا الى مكتبه • ورأيت من عينيه أنه ساءه ألا أستأذن في الدخول ، ولكنه لم يواجهني بذلك خشية أن يفقدني كعميل . وجلست دون أن يأذن لى بذلك ، فبادرني قائلا وقد بدا ممتعضا » « هل من خدمة أودبها ؟ » . وأجبته بأنني في مأزق حرج لا أحسد عليه . وأن مشكلتي عائلية بالغة التعقيد .

وادلیت الیه بها شئت من روایات عن زوجنی والرجـــل الآخر الذی دخل الی حیاتنا وافسدها ، واتفقنا علی الأجر المناسب ، وعلی ما بجب أن يتبع .

وعدت الى مسكن تشادلى فى الساعة هو١٠ مساء ، ودخلت من باب البنى الرئيسى . وما أن بلغت منتصف الدرج حتى سمعت صوتا توقفت على اثره أرهف السمع وأنصت . وأنى لادرك الآن أنه كان على أن أعود أدراجى وأغادر المبنى ، بل وقعد تبادر هسذا الى ذهنى ، ولكننى لم أفعل هذا ، بل واصلت ارتقائى الدرج صدوب المياة التى سمعتها تنتجب .

ودخلت لأرى عجبا ، كان كل شيء في الشقة مقلوبا رأسا على عقب ، مبعثرا هنا وهناك ، من ملابس الى كتب الى صحاف محطمة وفي كلمة كان الكان أشبه شيء بميدان معركة ، وبين ما وقع عليه نظرى من هذه الاشياء وغيرها ، رأيت تشسارلي يرقد جثة هامدة ، حيث أدركت ذلك لأول وهلة ، والى جانبه وجدت قدح القهوة الذي كان يعتز به محطما متناثر الشظايا ، وكأنه لم يرض بأن يستعمله أحد

غير صاحبة واخرجت من جيب تشارل حافظة نقسوده ، لكى ازود الشرطة بدافع على الجريمة عند عدم العثور عليها . وما أن انتصبت قائما ، حتى وجدتنى وجها لوجه أمام امرأة لا تتجاوز الثلاثين من عمرها ، لا يسر مرآها الناظرين بعينيها الغائرتين في وجهها الشاحب ووقفنا حوالى الدقيفة نتبادل نظرات انتحدى والاستفسار ، وودت لو إخبرتها بأننى وان كنت لم اقتل تشارلى ، فانها يجب ألا ٠٠٠ ولكن كيف كنت أبدأ ؟ فوليت وجهى شطر المدرج بأقصى ما في وسعى من سرعة .

وهكذا تزداد الدائرة ضيقا ، وكانى لم يكن لينقصنى هسدا المازق ، ان الشرطة ستحصل من الرأة على أوصافى ، وسيجد رجالها في أثرى ،أن منظمة دائبى هى الجهة الوحيدة التى يمكن أن تساعدنى بما لها من سلطان ونفوذ .

وقفزت الى أوتوبيس من ميدان كامبردج ، وغادرته فى ميسدان بيكاديللى ، واستوقفت عربة ذهبت بى الى الريتز ، ومنه استدرت سيرا على الأقسدام شرقا فى انجاه بيكاديللى . ومن هنساك اتجهت بعربة اخرى صوب شركة تأجير السسيارات فى نابتزبريدج ، وكانت الساعة لم تتجاوز الخامسة وخمسا وعشرين دقيقة ،

واستأجرت سيارة أوستن ٧ ، الوحيدة التي كانت مزودة براديو واستعملت رخصة قيادة تشارلي التي وجدتها بحافظة نقوده وكان هذا منى مخاطرة غير مأمونة العواقب ، اذا ها ذاع نبأ مقتل تشارلي ونشرت صودته بالصحف وأدرت الراديو لأستمع الى أخبار الساعة السادسة ولم يكن بها ما يستحق الذكر ، أو يتصل بها يعنيني ،

وانطلقت بسیارتی من طریق الی طریق ، وهن میدان الی آخر ، وکانت وجهتی منزل دالبی • وقبل أن أصل الی فندق تیودور بحوالی المائة یاردة ، أضأت النور الکشاف ، وتلقیت الاجابة علی اشارتی من السیارة الفورد انجیلیا التی کانت تقف امامه • وبعد أن تجاوزتها ،

تأملت المرآه العاكسة للطريق الخلفى ، لأرى مستر ووترمان ينطلق بسيارته خلف سيارتي •

وكان قد سبق لى زيارة دالبى بهنزله نهارا • وهو يقيم فى بين صغير دن الحجارة ، يبعد عن الطريق الى الداخل بهسافة طويلة • وعرجت الى اليمين فى الدرب الموصل الى المنزل • وتوقف ووترمان عند الجانب الآخر من الطريق • وكانت الانظار تتساقط رذاذا • وغادرت السيارة دون أن أغلق أبوابها ، وتركت مفاتيحها فى « الدواسة » • وظل ووترمان قابعا فى سيارته • وكانت الساعة قد بلغت السابعة مسا، ، فتلكات لاستمع الى الاذاعة • غير أنه لم يرد بها ذكر لحادث مفنل تشارلى •

وواصلت طريقى الى المنزل على قدمى • وطرقت الباب بمقبض من نحاس فى صورة رأس الاسد • وفتح دالبى الباب ، وحاول أن يكسو وجهه بامارات الدهشة والمفاجأة ، قائلا :

_ أما زالت الامطار متساقطة ؟ تفضل بالدخول •

وجلست على الاديكة الكبيرة ، بالقرب من المدفاة أنهم بنيرانها التى تلقى بظللها بين قدمى و ورحت أراقب دالبى بها يتفق مسع ما يساور نفسى من شك وقدم الى مشروبا تقبلسته دون تردد و نم ترك الغرفة لاحضار بعض الشطائر ، الامر الذى لم أدخله فى اعتبارى، لأننى لم أكن أديد أن أترك لدالبى فرصة للتفسكير أو للغياب عن نظرى و أذ قدرت أن بوسعه أن يتصل تليفونيا بجهة ما أو أن يعدود حاملا مسدسا أو أى شى، من هذا القبيل و ولكنه عاد أدراجه يحمل شطائر اللحم البارد وكنت أشعر بالجوع ، فشربت وأكلت وأخيرا قلت له :

- ۔ لقد کئت مسجونا •
- ـ لست بحاجة لأن تخبرني بهذا
 - _ هل کنت تعلم ؟
- _ انه جای ٠ لقد حاول ان يبيعك لنا بالتالي ٠

- ولماذا لم تضبطه متلبسا ؟ لماذا لم تقبض عليه ؟
- ۔ انك تعرف جاى ٠ انه صعب المراس لا يسهل الايقاع به ٠ ومهها يكن من أمر فاننا لم نرد أن نخساطر بك أو نعسرض حياتك للخطر ٠

ولم أعقب بشيء • فاستطرد قائلا:

- _ كان يريد أربعين ألف جنيه فدية لك ونعتقد أنه قد يتمكن من تشيكو أيضا ان هناك من يعمل لحسابه في الادادة الطبيةللولايات المتحدة وذاك كان سببيل تمكنه منك في توكوى ان الامر بالغ الخطورة وكان من المكن أن ينتهى الى أسوأ من ذلك
 - _ لقد كادوا أن يقضوا على حياتي •
- ـ لم اكن قلقا عليك لقد كنت مطمئنا الى أن شيئا من ذلك لن يحدث ما كنت أظنهم بقاتلى الاوزة التي تبيض لهم ذهبا
 - _ هكذا ؟ وهل كنت هناك لترى ما يقلقك الى آخر ····
 - الم تر تشيكو هناك ؟
 - _ كلا لقد كان هذا مها خفف عنى وطأة ما كنت أعانيه
 - ـ هن لك في مشروب آخر ؟
 - _ كلا ٠ اننى اريد أن انصرف لعملى ٠ أريد مفاتيح المكتب ٠
 - اننى ألح في أن تمكث معنا لتناول العشاء •

فاعتذرت شاكرا • وتبادئنا حديثا وديا • وكنت لا افتا اردد فى ذهنى ان تشسسارلى قد قفى نحبه ، وان دالبى اما ان يكون قد علم بذلك وتجاهل الأمر ، أم أنه لا يعلم به فعلا • وبينما كنت أفكر فى اخباره بالامر ، كان دائبى قد أخرج من خزانة بالحائط ملفين يتضمنان ما يدفع للعملاء فى بلاد أمريكا الجنوبية •

وسلمنى دالبى الملفين مع المفاتيح ، ووعدته باتخاذ اللازم فى الملفين قبل الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى • وكانت الساعة قد بلغت النامئة الاعشر دقائق مساء وكنت متلهفا على الانصراف ، حيث أننى كنت قد اتفقت مع ووترمان على أن يلحق بى بعد ساعة • فنهضت مستأذنا

فى الانصراف دون أن اذكر شيئًا عن تشارل كافنديش • واستقر رأيي على تأجيل الحديث في هذا الموضوع ، عندما نكون بالكتب •

وبینها کنت فی طریقی الی السیارة ، دار بخلدی آئنی قد یقبض علی بتهمة القتل قبل صباح الغد ، وفکرت فی آن أعود أدراجی وأقول لدالبی « لقد نسیت أن أخبرك بأننی متهم بجریمة قتل » •

وواصلت طسريقى الى السيارة الاوستن التى انطلقت بها وتبعنى ووترمان ، حتى توقفنا عند جلوارنج أول ، وغادرت سيارتى الى حيث يفف بسيارته وسلمته المبلغ المتفق عليه نقدا ، فقال لى :

ـ لقد سار كل شيء على ما يرام • لقد خيل الى أن الأمور ستتعقد عندما رأيت الرجل الصيني الضخم يطل من النافذة •

_ مهلا ، رجل صيني ؟ هل أنت واثق مما تقول ،

ـ واثق مما أقول ؟ مأذا تظنني يا رجل ؟

واحتللت المقعد المجاور له في سيارته ، وسألته أن يعيد على مسامعي سرد كل ملاحظاته تفصيلا ، وبعد أن استمعت اليه في اصغاء تام ، قلت له :

- سنعود أدراجنا الى هذا المنزل فورا •
- ۔ لن أعود معك لقد قمت بما كلفت به •
- سأنقدك أجرا اضافيا سأدفع لك أتعابا أخرى •
- استمع الى لقد كنت هناك فعلا ، وفرغت مها كنت تربد •
- ۔ کلا ، انی عائد أدراجی سواء جئت معی أم رفضت وقد لایستغرق ذتك منی أكثر من مجرد التطلع عبر النافذة ،
- ۔ لیس لهذا أى اتصال بزوجتك وما أظن أن الأمر كما صورته لى لقد أدركت ذلك لأول وهلة •
- ۔ فلیکن ، ولکنٹی وفیت بتعهدی ، انٹی من القسم المخصوص ببرایتون ،

واطلعته على بطاقتى الزيفة • وساعدنى الليل على ألا يتبين منها غير ظاهرها • فقال لى مندهشا :

۔ عجبا! انت من رجال الشرطة · انك لا تبدو كذلك · .
ولكننى عدت لأؤكد له زعمى ، حتى أصبح بين الشك واليقين من حقيقة أمرى · ولما وثقت من ذلك قلت له :

ـ انها قضية هامة وأريد أن تساعدني •

لماذا لم تستعن بأحد الكونستبلات من مساعديك ؟

_ لم يكن هذا ممكنا ، لأننا خارج منطقة اختصاصنا .

انئى افوم بهذه المهمة بناء على تفويض خاص •

۔ هل هی مهمة سلیمة ؟ فلست أود لنفسی أن أورط فی عمل غیر قانونی ٠

واخيرا ، وبعد أخذ ورد بيننا ، واقق على مرافقتى فى مقابل أجر ، وعدنا أدراجنا بسيارته الخاصة ، بعد أن التقطت الملهين من سيارتى ، وأودعتهما المقعد الخلفى لسيارة ووترمان ،

- Y9 -

وتقدمنا من المنزل على مهل ، بعد ان توقفنا بسيارتنا بعيدا ، وكان الظلام حالكا ، الا من خصلات الضوء المتسربة من النافذة ، واقتربت على اطراف اصابعي من نافذة الغرفة التي استقبلني بها دالبي من قبل ورايته يصب لنفسه كاسا من الويسكي ، وأدامه موراي جالسا على الأريكة التي كنت أجلس عليها منذ قليل ، وكانا يتبادلان الحديث مع شخص نالت لم أستطع رؤبته لأنه كان خارج نطاق زاوية ابصاري ، وساعدتني الظروف بعد برهة ليدخل هذا الثالث داخل نطاق الرؤية ، عندما نهض ليتناول كاسه من دالبي ، ولم يكن هذا الرجل غير كوبلاي خان بلحمه ودمه ، وما أظنه الا الصيني الذي رآه ووتر مان يطل من

النافذة في زيارتنا الأولى • وكدت أن أكتفى بها رأيت ، لولا أننى لاحظت أنهم كانوا يتجهون بحديثهم ألى شمسخص رابع عبر الغرفة • وتهنيت لو تحرك ليدخل في منطقة الرؤية • وكان أن خدمنى الحظ بتحركه لأدى أنه لم يكن غير صاحبنا جاى •

واستبدت بی مشاعر جمة ، وتملکتنی الدهشة ، حتی اننی کدت ان اتعثر وافقد توازنی ، یاله ؟ انه جای امیر الشر یتبادل الحدیث مع رئیس ادارتنا وفی بیته ، اننی عاجز عن تصویر ما احدثه هذا المشهد من تأثیر فی نفسی ، لقد کان هذا اعمق اثرا مما قد ینتابنی من مشاعر وفکر ، اذا ما رایت مستر ماکمیلان یسقط بطاقة عضویة الحزبالشیوعی من حافظته ، ووقفت اراقب المشهد امامی واتتبع شخصیاته کصبی صغیر فی تتبعه لمشاهد سیرك عجیب ، ان رؤیتی لمورای لم تدهشنی کشیرا ، ثم کانت رؤیتی لکوبلای خان فائارت دهشتی ، اما ان ادی جای ضمن شخصیات هـــدا المسهد ، فکان اکثر مما یمکن ان تحتمله مشاعری واعصابی ، ولم ادر کم من الزمن مر بی فی وقفتی هذه ،

وعدت ادراجی یتبعنی ووترمان ، وانا مطرق الراس افکر فیما رایت ونساهدت ، وعادت الی ذهنی ذکری حدیث بینی وبین دالبی قال لی فیه : « اننا نتحرك من طرفین متقابلین صوب غایة واحدة » ، وتذکرت الرجلین اللذین رایتهما عبر شارع مطعم تیرازا ، واللذین سرعان ما اختفیا عن ناظری فی تیار الرور المزدحم بعد مغادرتهما لسیارة اجرة ، وایقنت بانهما کانا جای ودالبی ،

وكنت اسير بصعوبة اتلمس طريقى فى الظلام ، بعد ان اعبت عينى لخظات التحديق فى الغرفة المضاءة وما يجرى بها ، ولم اشعر الا بيد تمتد الى من هذا الظلام لتطبق على فمى تمنعنى من الصياح ، وبيد اخرى تهددنى بثىء معدنى فى ظهرى ، وسمعت صوتا يهمس فى اذنى قائلا : ____ انه انا يا سيدى ، أنا موراى ،

يا له من موقف مناسب للرسميات • « ياسيدي » لله درهم • وكيف وتذكرت رافن الذي قمنا باختطافه بالقرب من الحدود السورية ، وكيف

دهشت عندما سمعت دالبی یقول له وهو یحقنه: « آسف یا سیدی » . لعل « سیدی » هذه هی الکلمة التی لا یجدون عنها بدیلا فی توجیه الخطاب الی ضحایاهم • واستطرد مورای قائلا:

- سأرفع عنك يدى الآن يا سيدى • لا تصرح والا هلكنا معا •

وکنت ارید آن اومی، براسی موافقة و ولکن مورای اساء فهم حرکتی هذه ، فاشتدت قبضتا یدیه علی فمی وذراعی و تری این انت این انت لتتقاضی باقی اتعابك ؟ ولکننی لم اجد له انرا و بعد آن ابتعدنا عن المنزل ، رفع مورای یدیه عنی و بدا حدیثه قائلا :

- لقد وطأت بقدميك أسلاك الانذار الداخلية
 - _ ما كنت أتصور أنها ممتدة الى هذا الحد .
- يتعين على أن أعود فورا الى المنزل ، لكن ٠٠ »

ثم تردد فی مواصلة ما کان بسبیل آن یتحدث به آل وکان هناك الکثیر مها ارید آن اعرفه و ولم یکن الموقف لیسمح باعتراف مطول ولکننی اقتربت منه هامسا : « استمع آلی یا مورای و مهما یکن من امر ما یجری ، فانك لتعرف تهاما آن کل هؤلاء یقعون تحت طائلة عقاب الخیانة العظمی و فاذا ما عملت بها اقوله لك ، وتصرفت بناء علی اوامری نجوت مها سیتعرضون له و والا ، فانك ستصبح عدوا لحكومة صاحبة الجلالة » و واطرق مورای لحظة فی صمت و واستطردت قائلا : « الست تری بعینیك یا رجل ؟ لقد باع دالبی نفسه للشیطان و ام لعله کان عمیلا ذا وجهین من سنوات مضت و آن مهمتی کانت فی التاکد من هذه المعلومات و آننی من وکل الیه اعاطة اللثام عن حقیقة ما یجری وما یقال النمی آهیی، الفرصة لك یا مورای ، لاننی آعرف آنك لم تتورط بعد آلی الحد اللی تورط فیه غیرك و هیا معی لنعمل معا علی تجمیسع هسته الحد اللی تورط فیه غیرك و هیا معی لنعمل معا علی تجمیسع هسته الحقائق و آن آمرهم قد انکشف وعرف مصیرهم و لئن اتبعت نصحی فانك لن تندم » و و وقفت و وقد خیل آلی آن قصتی قد آنتجت آثرها ولکننی سمعته یقول :

- ان اسمى هو هاريمان • ورتبتى ليفتنانت كولونيل في المعابران العسكرية الخاصة • وأنت من يجب أن يطيع أوامرى في الوقت الحاضر •

وكان صوته مختلفا عن صوت الجاويش موراي ، كما كانت لهجته غير ما ألفته منه • ثم استطرد قائلا :

۔ اننی لآسف کا صادفته وتعرضت له ۰ ولکنك یجب أن تسرع بالانصراف من هذا الكان فورا ۱۰ ان وضع یدنا علی دالبی لن یكون كل شی، ۰۰۰ »

وفى هذه اللحظة بالذات ، تلقى الرجل من ووترمان لطهة على رأسه « بالمفتاح الانجليزى » ، فسقط لا حراك به ، وتأملت موراى أو هاريمان أو من عساه أن يكون ، وعرفت ما يجب أن أفعله فورا ، أن على أن أسرع بالانصراف من هذا المكان كها قال لى ، وأتركه فاقد الوعى لدالبى وشركائه يتولون أمره ، وكان ووترمان فغورا بها قام به ، مرددا سؤاله لى عها أذا كان لم يحسن صنعا ، وكنت أجيبه شارد الذهن ،

وبينها كنا نستقل السيارة تأهبا لرحلة العودة التى لن تقل عن الساعتين زمنا ، راينا الباب الاهامى للمنزل يفتح ، بينها وقفت أهامه السيارة الرولز الكبيرة التى خرج دالبى والذى انطلق بها فى الطريق اللائدن ، وقلت لووترهان ، عليك أن تلحق بهذه السيارة لأننى اريد أن ارى وجه سائقها ،

وما أن بلغنا من الطريق منحنى ميلفورد ، حتى أتابت لى أضواء المصابيح الكهربائية بالشارع فرصة تأمل السيارة الرولز الفخسرة التى لا ينتج مثلها السادة رولز ـ رويس الا للملوك ورؤساء الدول ، السيارة المجهزة بكل وسائل الترف والراحة ، هذه السيارة كان يستقلها جاى ، في اطمئنان ودعة ، دون أن يتجاوز بها سرعة ١٥ ميلا ، لأنه لم يكن في عجلة من أمره ،

وتقدمتنا السسيارة الرواز حتى انحرفت من طسريق كرومويل الى حىبرومبتون ، حيث القصور الفيكتورية المشيدة منذ عام ١٨٥١ ، والتى كانت تطل علينا من حالق مجسدها ، وتوقفنا بعيدا عن سيارة جاى ، واسرعنا بمغادرتها في هدوء ، واقتربنا من المبنى الذي دخل اليه جاى من بابه الأمامى ، وكان المبنى قطعة فنية من الذوق المعاصر ، بأبوابه الخشبية ونوافذه المسسدل عليها الستائر المسسدنية ، واقترب ووترمان من لافتة الاسماء المتضمنة ساكنى البناية ، ولحقت به اطلع عليها ،

وسمعنا من يقول لنا ، "يمكنكما الدخول الآن" به وفتح الرجل الباب الامامى بمفتاح كان معه ، ولحنا رجلين آخرين يقفان خلفنا ، فآثرنا ان ندخل ونصدع بما أمرنا ، وبالذات بعد أن لمع في يد كل منهما مسدس أو توماتيكي صغير من طراز بريتا ٣٤ ،

وضغط الرجل الاول احد الازرار الكهربائيسة ، ثم تعسدت فى الميكروفون الداخل قائلا : « انهما اثنان ، وقد يكون احدهما من رجال الشرطة » ، اذن فقد كانوا يتعقبوننا ويراقبون حركاتنا ، وبعد ذلك سمعت صوت جاى قائلا : « ضعوهما تحت كاشف الاسرار ، ثم ائت بهما الى يا موريس » ، وتاملت ووترمان لارى علامات الخيبة وقد اكتست بها ملامح وجهه ، اننا لم نكن بأكثر من غافلين ساذجين ، تعقبهمسا الغير طوال الطريق ؟ كان يجب ان نكون اكثر يقظة وحذرا ، وكان من البديهي ان نتوقع من هذا الاتصال بين دالبي وجاى الكثير ، وتساءلت عما اذا كان دائبي قد اتصل بجاى تليفونيا ليخطره بامر موراى ، الذى عثر عليه فاقد الوعى بحوض الزهور ،

وكانت جدران البهو مغطاة بالمرايا السودا، واوقفونا تجاه المرآة الكبيرة وجردنى موريس من سلاحى وكان شديد الحدر في كل حركاته ، مها يدل على أنه يتقن عمله ويدرك ما يجب عليه أن يقوم به و ثم اقتادونا إلى الطابق الاعلى و

وأدخلنا الى غرفة الجلوس الفاخرة الاثاث • ورايت فى الطرف الآخر منها ، منضدة من الرخام الاسود متوسطة الارتفاع ، تحيط بها مقاعد كبيرة من الجلد الاسود ، تواجه جهاز تليفزيون يناسب فخامة الحجرة وأثاثها •

وسمعت صوت چای المدوی من الباب المفتوح ، یدعونا للجلوس و ورأیت حراسنا الثلاثة ینسحبون کما ینسحب المثلون خلف سستار المسرح ، وان کنت واثقا من أنهم لن یبتعدوا عنا کثیرا و

وقلت بصوت مرتفع موجها الكلام لجاى الذى لم أكن قد رايت بعد: « هذا مستر ووترمان • من وكالة شرطة ووترمان السرية • لقد استأجرته بعد ظهر اليوم » • ولما لم أسمع ردا أو تعقيبا ، ضاعفت من ارتفاع نبرات صوتى ، كمن يخاطب أصما لا يسمع بسهولة : «أظن أننا لا نريد شيئا من ووترمان بعد • ولا مانع من أن ينصرف الى مئزله » •

وبعد فترة صمت سمعت صــوت جاى قائلا : « هل آئت مدين لمستر ووترمان بشيء ؟ »

۔ خمسة عشر جنيها ٠

وسمعت أزيزا خافتا ، ودخل بعده موريس ، ووقف ساكنا حتى سمعنا صوت جاى يصدر تعليماته قائلا : « موريس ، بعد أن يتسلم مستر ووترمان شيكا بمبلغ خمسة عشر جنيها ، دعه ينصرف » ، وانصرف مستر ووترمان مغادرا الغرفة بعد أن ودعته ،

وكنت أريد أن أرى ماذا يفعل جاى فى مكانه الذى يوجه الينا الخطاب منه • وكنت أسمع خطواته فى الغرفة الصغيرة الملحقة بالغرفة التى أقف بها ، ولا يفصلهما باب موصد • وخطوت نحو هذا الباب لأرى ماذا يفعل • ولم أكن لأتوقع أن أجده جالسا الى منضدة مطبخ ، منهمكا فيما كان يعد ويجهز • قال لى :

- _ هل أنت ممن يحبون الطهو ؟
 - _ قد أصبح كذلك ·
 - ـ هذا أفضل •

- ـ الم يكن لاروتسى هو الذي قال ما معناه « ان حكم الامبراطورية كطهو سمكة صغيرة » ؟
- ب وعلى حد قول مونتاني « ان عظماء الرجال يفاخرون بقدرتهم على حسن اعدادهم لسمكة توضع على مائدتهم » •
- ـ وهل كان يعنى بهذا ، أن اعدادهم لهذه السمكة يعنى ضمنا زيادة في التكريم والمجاملة للضيوف ؟

ولم یعقب چای بشی، ۱۰ بل قدم لی کاسا من الشمبانیا المثلجة ۱۰ وبعد قلیل سمعته یقول لی ۱۰ دون آن یرفع عینیه عما کان بین ایدیه :

۔ انك شاب هادى، بارد الطبع · الا يعنيك شي، من أمر صديقك كافنديش ؟

ولما لم اعقب بشيء ، حدجني بعينيه الدُقيقتين مستطردا :

- اننی ادیر عملا کبیرا .
 - ـ اعرف ذلك •
- ۔ انه اکبر واضخم مها تعرف وتتصور ۱۰ ان تاجر السهك يبيع سمكا ، وتاجر الخمور يبيع شمبانيا ، والفرنسيون لا يعارضون في ان تباع خمورهم خارج فرنسا ۱۰ اليس هذا هو الواقع ؟
 - ـ بلى ذاك هو واقع الامر •
- - _ مثل ایخمان ؟
- ـ لست أحب هذا الاسلوب من المزاح ، اننى أتعامل في هـذا الطراز من الرجال الموهـوبين الذين يغيرون من يستخدمهم بمحض ارادتهم » .

اذن فهذا هو جای ۰ هذا هو ایخلهاور باسمه الالمانی الذی بتسمی بجای ۰ فقلت له معقبا :

۔ انك كشاف موهوب للكشف عن المواهب لحساب الكرملين ؟ والتزم جاى جانب الصمت ، ولعله كان يفكر فيما سمعه منى •

وقطع علينا حبل السكون المخيم ، رنين آلة التليفون الموجهودة بالمطبخ ، ورفع السماعة قائلا بعد أن استمع لمن يتحدث اليه : « دعه يتصل بي » ، وبعد قليل واصل حديثه : « يمكنك أن تقهول اننى بالمنزل ، اننى لن أتفوه بكلمة ، يا صديقي ، عليك بالمضي فيما اتفقنا عليه ، أجل ، هذا حسن ، شكرا » ،

وبعد أن أشعلت سيجارة ، قررت أن أبدأ الحديث قائلا :

- ألم يحن الوقت بعد لنتحدث عن صلب الموضوع ؟
 - ـ عن ماذا ؟
 - ـ عن هذا السجين الذي هربت منه
 - _ او تعتقد أن لي يدا في ذلك ؟

وعندئذ اقبل موریس بوثیقة قدمها الی جای وحاول ان اتبین شیئا عن مضمونها ، فتعذر علی هذا و کل ما استطعت ان اتبینه منها انها صفحة من الورق بها حوالی و کلمة محسرة بالآلة الکاتبة وانصرف موریس ، وتبعت جای الی غرفة الجلوس ، حیث جلس عند رکن التلیفزیون قائلا:

- ـ هل اساءوا معاملتك في وود جرين ؟
- اننى ئم استطع ان اتحمل اكثر مها تحملته •
- ـ هل كان ما تعرضت له قاسيا الى هذا الحد ؟
- ـ اننى وطنت نفسى على التعرض لأسوا الظروف •
- ۔ لقد کان هنالك من ألوان العذاب في القرون الوسطى ما هو اشد تنكيلا وفي هذا العصر تجاوزت أسلحة الدمار حد المعقول ثم اعتدل في مقعده الجلدي الكبير ليسستطرد بعد أن لاحظ

صهتی:

ما أظنك بمصدق أن الدول الشيوعية ستنهار وأن هذا النظام الرأسمالي سيواصل سيره قدما • لتكن رجلا موضوعي النظرة ، واسم الخبرة • كن عمليا وأنت تستعرض معي حقيقة الاوضاع السياسسية • نبئني ، ماذا بوسع الرأسمالية أن تقدمه لنا ؟ أن مستعمراتها التيكانت تبيض لها ذهبا ، في طريقها إلى الزوال • فقد تنبهت الاوزة وتعلمت تبيض لها ذهبا ، في طريقها إلى الزوال • فقد تنبهت الاوزة وتعلمت

أين تبيع نتاجها الذهبي • اللهم الا من بعض بلاد قليلة استطاعت فيها حكوماتها الرجعية أن تخمد حركاتها الاشتراكية ، بفضل مساندة القوات الفاشية التي يمدها الغرب بذهبه » •

وتأملني ليتحقق من مدى تأثير حديثه في نفسى • ثم اســـتطرد قائلا:

ـ وتلك الدول الرأسمالية نفسها ، ماذا من حقيقسة امرها ؟ اضرابات تلو الاخرى ، وعقول سقيمة لا يعنيها من أمر زملائها فىالبشرية شيء ، وفوضى ضاربة أطنابها تتحكم فيها أموال الرئسساوى واتجاهات الانائية » •

وفى هذه اللحظة بالذات ، أدار مفتاح الراديو الى اذاعة انبسا، وزارة الداخلية ، حيث كان قد حان وقت اذاعتها · وطرق سمعى صوت المذيع معلنا : « ان الشرطة تجد في البحث عن رجل كان بالقرب من مسرح الجريمة » · واعقب هذا اذاعة وصف تفصيل لى · ووجهدتنى أقول لجاى :

ـ دعنا من كل هذا ٠ من قتل تشارلي كافنويش ؟

فنهض جاى عن مقعده ، واتجه صوب النافذة يتطلع منها • واشار الى ان اتبعه الى حيث يقف • وتطلعت من النافذة لأجد سيارتى أجرة تقفان عبر الشارع • ثم قام جاى بتغيير موجة الراديو الى موجة اذاعة الشرطة ، التى علمنا منها بأن قوات الامن تنسق جهودها فى اثرى •

وسمعت جاى قائلا ، ردا على سؤالى :

_ لقد قتلناه جميعا • أنت وأنا وهم •

وسمعنا أحد الرجال الثلاثة الذين كانوا يقفون في الناحية الاخرى من الشارع يعلن لمن يوجه اليهم كلامه ، انني متجه الى هناك فورا ، عليكم بمراقبة الاسطح والشهوارع الخلفية ، مع احكام حصارها - واقبضوا على كل من تلتقون به في انتظار أوامر أخرى ،

وكان الصوت صوت روس ، ثم عبر الرجال الثلاثة الشارع في اتجاه المبنى .

واتجه الى التليفون الداخلي قائلا وهو يرفع السماعة : ١٣٢

- موریس ، لدینا زوار •

ثم ابتسم ابتسامة عريضة قبل أن يستطرد:

- دعهم يصعدون ، بعد أن تخبرهم بأنثى معتقل فعلا •

وفتح موریس باب الغرفة لروس والشرطیین اللذین معه ، وتبادلنا جهیعا التحیة والمصافحة بالایدی • ولم یسبق لی آن سررت بلقا، روس من قبل • وقام روس بتفتیش جای الذی نقل الی کارشلتون ، المبنی التابع لادارة روس والستعمل فی اغراض غیر معلومة • ولما أقبل جای لیودعنی ، لاحظت آنه ارتدی حلة رمادیة من صوف الموهیر الفاخر •

وبعد أن سكنت الحركة وهدأت العاصفة ، قال لى روس فى لهجة رقيقة ، بخلاف ما ألفت منه : « والآن ، أظن أنك حصلت على ما يجب ألا تنتظر بعد شيئا ، وما لا يحتمل تلكؤ أو انتظار » •

وسرت به الى المطبخ قائلا: « هذا الطعام يجب أن يؤكل ساخنا » فضحك روس قائلا: « أو كنت تتردد على هذا الكان؟ » فاجبته قائلا: « أجل • فقد كانت لى سابق معرفة بالطاهى »

- 41 -

كان الليل قد انتصف ، عندما وصلت الى مكتبى بشارع شارلوت وكان المكان أسبه شي، بخلية نحل نشاطًا وحركة ، وبعد أن سلمت أليس قائمة بالاسماء ، غادرت الغرفة لتتركنى مع جسين التى انتهزت الفرصة لأفسد زينتها وأحمر شفتيها ،

وكانوا قد ذهبوا بكل من ألقى القبض عليه الى كارشلتون ، ورؤى أنه يحسن ايداعهم فى معنقلات انفرادية ، للمصلحة العامة ، وقامت الدنيا وقعدت ، وحددت الساعة السادسة صباحا لعقد اجتماع فى عقر شرطة اسمحتلنديارد ، وكان رجال الشرطة فى أشمعه حالات القلق والاضطراب ، غير أن الساعة ما وافت الثامنة صباحا ، حتى بدأت الامور أن تنجلى وتتغطى مرحلتها الخطرة ، وكان موارى قد تمكن من اعتقال

دالبى بعد أن استعاد وعيه • وقد اتصل بنا فى الساعة الثامنة و ٩ دقائق صباحا ، من ليبهوك ، ليخطرنا بأنه ألقى القبض على رجل يدعى سوينسون ، ويسالنا أن نبعث بسيارة لاحضاره • ولاح لى أن سوينسون هذا ، هو الاسم الحقيقى لكوبلاى خان • وامرت بقيام السيارة ، التى انتقلنا بها ، أنا وجين لتناول طعام أفطارنا •

وقالت لى جين ، ونحن جلوس الى مائدة الافطار بالمطعم ، « يالها من خطة ، اننى لا أكاد أن أصدق شيئا مما جرى » ·

بل صدقی • وصدقی ایضا اننا لم نقتلع الشر من جدوره! ولست ادری ای الخطتین کان اکثر اثارة للدهشة ، دالبی الذی یعمل لحساب الآخرین • ام روس الذی سیطر علی العملیة التی احکمت تضییق الخناق علیه ، وتمکنت من الایقاع به •

_ وهل كان روس على علم بذلك عندما وافق على نقلك الى المنظمة التي يرأسها دالبي ؟

ـ لم یکن واثقا مها یجری او مها بقال وهندا هو السبب فی تکلیفه مورای بالتجسس علی ما یجری و فلما سمع بامر ما کان فی نادی العرایا و تعرضی لالقاء القبض علی ، ترك دالبی یفهم انه یشك فی امره و تلك مخاطرة لا شك فیها و ولکنها كانت مخاطرة انتجت اثرها ، عندما حفزت دالبی علی آن یثبت اخلاصه ، بالتفانی فی عملیة خطف رافی فی لبنان و وانی لأذكر الآن اننی رایت روس فی المطار عند عودته من بیروت عقب لقائه بدالبی و آما الی آی مدی كان سلوك دالبی معارضا لرغبات جای ، فهذا ما ئن نستطیع له تحدیدا ، لأن دالبی تعمد آن یقضی علی كل من كان فی السیارة مع رافن كما تعلمین و

اذن فلم یکن کارسویل بهذه الدرجة من الحمق التی کان یبدو بها ؟

ـ كلا . لقد كان أعمق من هذا غورا وأكثر حذقا . وما أن خشى روس على حياته ، حتى عمل على اخفائه في مكان ما ، حتى أننى لم أعرف له مستقرا ولم يستطع تشارلي أن يهتدي اليه .

_ اذا ما افترضنا أن جاى لن يعترف بشيء ، فقد يقوم كارسويل

بتقديم الأدلة عما وصلت اليه عملية « ابكريس » . وبالمناسبة ، هل « ابكريس » هذا شخصية اسطورية اغريقية ؟

- كلا . انها كلمة من ابتكار أحد رجال روس ، تعكس الحروف الاولى من جملة طويلة تعنى وصفا طبيا لما كانت هذه الجماعة ترتكب بالمنزل رقم ٢٢ .

ـ ماذا فعلوا بك في وود جرين .

- ان تنظيمهم لهذا الامر ، يدل عسلى مدى ما بلغتسه عقليتهم الشريرة من تدبير واحكام ، وهمؤلاء القوم المارقون يعمسلون على أن يفقدوا الرجل الاحساس بوجوده والشعور بذاته ، وانهم ليتعايلون حتى يجعلوا من المكان اقليما آخر بحسرارته وبرودته ، وهم يدابون على الحاق الأذى بمن يقع تحت أيديهم ويضيقون عليه المخناق حتى يضيق بذاته كله ، ويعمدون الى حرمانه من كل شيء حتى من النوم حتى يفقد التحكم في أعصابه ويصير ألموبة وأداة طيعة بين أيديهم ، وهم لا يتورعون على أن يزيغوا شخصيات السفراء وضباط الجيش في دولة أخرى ، إلى هذه الحيل التى تؤتى ثمارها لدى شخص بلغ هذا الحد من الانهيار والضعف .

_ ترى ماذا كانوا سيفعلون بك لو لم يتيسر لك سبيل الهرب ؟ لقد كنت أعرف الكثير عن حيلهم هــذه وألاعبهم حتى استطعت أن أصور لنفسى ما يقترب بى من حقيقة الوضع . أن الكثيرين ممن سبقونى الى هذا السجن قد أدخل فى روعهم أنهم فى بلاد أخرى غير انجلترا . ولم يكن ثمة من جدوى للتفكير فى الهرب من سجن تتخطى جدرانه لتجد نفسك خلف أسوار أمنع من الستار الحديدى ، وفى بلاد تبعد عن وطنك مئات الأميال . ومن هنا كان من العبث أن يفكر المرء فى الهرب ، بعد أن يلقى فى روعه هذا . وما كنت العبث أن يفكر المرء فى الهرب ، بعد أن يلقى فى روعه هذا . وما كنت يشعرونى بغيره ، كما حدث وصارحنى بذلك الضابط المجرى المزعوم فى وجود السكرتير الثالث المزعوم للسيفارة البريطانية ، من أننى ما دمت فى المجر ، وأنكرتنى بلدى بربطانيا ، فأننى سيأحاكم طبقا ما دمت فى المجر ، وأنكرتنى بلدى بربطانيا ، فأننى سيأحاكم طبقا

للقوائين المجرية • ومن هنا كان بدء تفكيرى فى الهرب ، لأننى رجعت أننى لو وفقت ، فسأهبط من جدران السيجن الى أرض بريطانية لأتنى لم أتجاوز حى وود جرين والمنزل رقم ٢٢ . منزل الأشباح ان شئت أن تسميه » .

ــ وماذا بعد ؟

- ليس من يعد ما هو هام . ثمة بعض تفصيلات عن أساليبهم سأرويها لك كلما تذكرت منها شيئا ، كتلك التى جرت وتعرضت لها في الجزيرة . غير أنك قد أحطت بما يمكن أن أسميه صلب الموضوع . ولعلك تدركين أننى جد متعب ، وأن مجرد استعادة هذه الساعات والايام المؤلمة يضاعف من شعورى بالاجهاد . ولا تنسى أن من عمد ما يقولون عليه هو هذا الاجهاد العقلى والبدنى الذى يصيرون ضحاياهم اليه ، انهم يعتمدون في أساليبهم على وسائل طبية أكلينيكية ، علاوه على الأخرى النفسية . أن العملية أكثر تعقيدا مما قد يخيل اليك ، ومما يمكن ايضاحه في لقاء أو اثنين أو أكثر من ذلك . أنها عملية متصعدة النواحي لا تدخر وسعا في الالتجاء إلى كل الوسائل متصعيق الفاية المنشودة - ألا وهي أصلاح الفكر التي يطلقون عليها في تعبيرهم (غسيل العقول)) .

وامرت لنا بقدحين آخرين من القهوة • ونهضت لأبتساع نسخة من صحيفة الجارديان . وكانت الصحف قد بدأت تنشر الكثير عن مقتل تشارلي كافنديس • وسمعت جين تقول لي :

- سمعت من موراي انه كان صديقا مقربا الى نفسك .
- ـ لقد كان صديقا بحق . وكان حريصا على سلامتي .
- ــ ومن كان له مصلحة في قتله ؟ أكان ذلك لأنه كان صديقك ويعمل على طساعدتك ؟
- كلا . إن الامر كان بخلاف ما تظنين . انها ماساة . فقد سبق له أن أعارنى بعض الثياب ومن بينها معطف واق من الطر . وبعد أن أصبحت في غنى عن المعطف أعسدته اليه عندما كنا بمقهى فودتيس . فادتداه في عودته الى منزله . ومن هنا ترين أن الامر لم

يكن بأكثر من خطأ مؤسف ، نتيجة لأن الجانى اعتقد أنه القصود بالقتل أى الشخص الكلف بقتله وهو أنا .

- ـ ومن الذي دبر قتلك ؟
- أحد من يعملون لحساب جاى وسنهتدى اليه
 - ـ الم يكن جاي هو الذي دبر ذلك ؟
- ۔ کلا ، ان هذا لم یکن من تدبیره ، بل انه بمجرد أن علم بذلك ، اسرع الى دالبى ، حیث وجدته هناك ٠
 - ۔ سؤال آخر .
 - ۔ هات ما عندك ٠
- لماذا استسلم جاى بكل سهولة عندما قدم روس لالقاء القبض عليه . ان هذا لم يكن متوقعا منه .
- ـ لعله كان يأمل في منخرج أو كان يعول على مساعدة دالبي له . أم لعله تفسير آخر ستكشف لنا الإيام عنه .
 - ـ هيا بنا نعود أدراجنا قبل أن تثور أليس .
 - لا عليك منها . اننى رئيس المنظمة .

- 44 -

وعدت اكتبى لأجد البرقيات قد انهالت من كل حدب وصوب . من واشنطون ومن كلكتاو ومن هونجكونج . وقامت أليس بانخاذ اللازم حيالها ، الا من القليل الذى كانت بحاجة الى تلقى ارشاداتى فيه . وكان موارى قد استقل طائرة هيليكوبتر الى جرانتهام التى عاد منها بتشيكو ، وبدا عليلا عندما زرته بالمستشفى العسكرى بميلبانك ، وعين روس حارسين لتشيكو ، وكل ما أدل به تشيكو من معلومات ، أنه تعرف هلى ابن عمه بالغيلم الذى سبق أن عرض علينا في وزارة الحرب ، وأنه بدلا من أن يخبر بذلك روس ، سافر لزيارة هسذا الرجل وليس من شك في أن الرجل كان ضمن عصابة ابكريس .

واتضح لى أن بينتر ، الذى اشسترك معنا في عملية اختطاف رافن بلبنان ، لم يكن غير طبيب نفسى له قدره . وأشركته في غرفة مع كارسويل في الطابق الاعلى بمبنى شارع شارلوت لعلنا أن نستفيد من معلوماتهما في حالة فشلنا في الحصول على اعتراف من جاى .

ولم أستطع أن أقضى ليلة في نوم هادىء ، الا في يوم الخميس ، حيث اقتضت الملابسات أن أعول فيما سبق من ليالى على القهسوة والسبجاير والاسبيرين . وما أن سمحت لى الظروف ، حتى تناولت منوها لأحظى بليلة هادئة . ولم أستيقظ الا في منتصف نهار اليوم التالى . ونهضت لأعد نفسى لقابلة هامة بوزارة الحرب في تمام الساعة الثالثة مساء .

ووجدت اليس وروس هناك في انتظاري ، وقدمني روس الى الشخصية الهامة الذي نعتني بأنني « بطل الساعة » وقدم الى سيجارة قام باشعالها ، واردف يشكر ثلاثتنا ـ روس واليس وانا ، ولكنني ادركت ان ثمة أكثر من مجرد تقديم الشكر لنا ، مبرد لهذا اللقاء . وتاكدت من ذلك ، عندما بدأ الرجل يتحدث قائلا :

" ان مستر روس يتوق الى ان تسمع ذلك منى • • « وحذرت ماكان بسبيل ان يقوله لى • لقد عهد لروس بادارة منظمة شارع شارلوت • ولقد كانت هذه اللحظة المناسبة فعلا بعد كل ما قام به روس فى سبيل القضاء على جماعة « ابكريس » • ولكن الحديث دار دورة أخسرى ، بخلاف ما خيل الى • ان روس لن يتولى رئاسة منظمتنسا بشسارع شارلوت ان الغرض من دعوتى لهذه الزيارة كان لايضاح بعض الامور لى ! أولها ثقتهم التامة فى ، والرغبة فى ازاحة الغبار عن بعض مواقف لروس •

وقد رغبت هذه الشخصية العملية العسكرية ، التى رأيتها فى الصور الفوتوغرافية جنبا الى جنب مع تشرشل وأيزينهاور وغيرهما من علية القسوم ، فى أن تسمع منى شسخصيا كيف هسربت من بيت وودجرين . وسردت على مسامعه كل ما كان من أمرى وكان لا يتمالك نفسه من أن لآخر ، مبديا اعجابه حينا ، ودهشته حينا آخر .

ونهض روس بعد شعوره بانتهاء المقابلة الى الباب يفتحه لتخرج اليس منه ، فانتهزت الفرصة واتكات على المكتب الفخم قائلا : « متى ستلقون القبض على هنرى ؟ » فأسقط في يد الرجل العظيم ، ونهض مستديرا حول مكتبه ليلتقى بروس الذى عاد من حيث كان عند الباب، ليشترك معه في التحديق في وجهى دهشة وعجبا . وأخيرا قال لى الرجل العسكرى العالى القدر ، مقتربا بوجهه من وجهى ، « كان يجب أن أغضب منك . هل تملى على واجبى فيما يجب على من تعقب أعداء الملكة ؟ »

ب انتى لا أملى على أحد ما يجب أن يفعل . وانه ليسرنى أن أن انك غضبت لسؤالى .

وفتح العسكرى الكبير احد أدراج مكتبه ليخسرج منه ملفا أخضر مكتوبا على غلافه اسم « هنرى » ، يحوى كل ما جمع «ن معلومات عن الرجل الذى تحدث تليفونيا الى جاى عندما كنا بالمطبخ . وكان باللف مذكرة بخط يد رئيس الوزراء ، والتقرير المقدم منى ، وتقرير مطول من روس ، وبعد أن فرغ الرجل العظيم من اطلاعى على ما بالملف قال :

ـ اننا لا نقل عن غيرنا رغبة فى الانتهاء من هذا الموضوع واقتلاعه من جذوره . غير أن ما تحت أيدينا من أدلة لا يمكننا من ذلك ، كما ترى ،

مع احتراض لشخصك ياسيدى ، اسمح لى أن أقترح تسليم هذا الملف لذوى الشأن . ان هذا التقرير المقدم منى كان مرفوعا لمجلس الوزراء ، ولم يكن من حقك أو من حق الكولونيل روس أن تفردا له ملفا ، أو تعلقا عليه ، ان دائرة نشاط المذكور لا تتجاوز نطاق مجلس الوزراء ، اننى سأتسلم منك هذا الملف الخطير الآن ، راجيا أن تعتبر كل ما ورد به من الاسرار العليا ، اسرار القمة يا سيدى » ،

ولم یکن هذا منی عن شك فی نوایا الرجل العسكری العالی القدر، ولا خشیة أن یحمی « هنری » ، ولکننی کنت أرمی بذلك أن یوضع اللف بین ید من یعمل باخلاص علی استیفائه .

ولم يعارض الرجل العظيم اقتراحى ، بل سلمنى اللف ، مع

وانطلقنا بالسيارة – أليس وأنا – انى شارع شارلوت . والتزمنا الصمت ، يفكر كل منا في معقبات الموقف وتطوراته . ولما اقتربنا من وجهتنا سمعت أليس تصارحنى بما كان يجول بخاطرها قائلة ، «ماكان دالبى ليجرآ على محاولة شيء من هذا القبيل » . وكانت في صوتها رئة اعجاب ، فسلمتها الملف قائلا : « رقمى هذا الملف ، وأودعيه درج مكتبى . وبعد ظهر هذا اليوم ، أقبلت أليس تحمل الملفين الآخسرين الملاين كانا بسيارة ووترمان ، ان أليس لا يفوتها شيء ،

واتصل بى روس فى الساء تليفونيا ، قائلا انه يجب ان نتقابل بشأن جاى ، وعقد اجتماع منى ومن كارسويل ومن بيتر ومن روس ، وقد انتهى هذا المؤتمر الى ما كان يجب أن ينتهى اليه ، من تقاضى جاى ، ١٦٠٠٠٠ جنيها اتعابا له ، ومن انقلاب سيارة « جنسين » براكبها الوحيد فى يوم السبب بتجاوزها السرعة المعقولة ، وكان راكبها مستر دالبى الذى أثبت الكشف الطبى أن وفاته كانت نتيجة الاصطدام السيارة بالحاجز وانقلابها ،

وكان أهامنا الكثير من الاعمال التي تتصل بموضوعنا هذا • ومن ذلك ، الطلب الذي تقدم به كوبلاي خان ، من وود جرين ، لمنحسه الحصائة الدبلوهاسية ، والذي رفض لاعتبسارات كثيرة ، وانبئي على رفضه الاستمراد في اتخاذ الاجراءات القانونية ضده • وكان على ان اشكر كبرت عرضه ببرقيته التي تسلمتها في الجزيرة • كما كان على أن أسدد لألف كيتنج دينه •

وفى يوم الثلاثاء ، استقبلت ذائرا ، هـو البريجادير الامريكى من توكوى وكان يحمـل معـه صندوقين من الورق المقوى ومن الصندوقين أخرج لوحا من الخشب يبلغ الستة أقدام طولا وفى طرفيه مصباحين مما يوضع فى مؤخرة السيارات وبهذين المصباحين المتبين على هذا اللوح الخشبى الموضوع فى مؤخرة دراجة بخارية ، خيـل الى

اننى اتبع سيارة ليلة القبض على في توكوى • وبعد أن تم لدالبي ما اراد من استدراجي ، عمل على فتل الشاهد الوحيد ، والقي به في البحر ، تم القي بالدراجة البخارية بعد مسافة قصيرة ، وهو يامل أنهم سيكتشفون كل شيء وأن وجودي بالقصرب من مكان الحادث سيضعني موضع الاتهام • وكان أن ألقى الامريكيون القبض على في الظروف التي أوضحتها • ثم تدخل جاى برجاله ليخطر الامريكيين بأن البريطانيين يطالبون بتسليمي اليهم • وهذا ما تم لجاى الذي نقلني الى الملكة المتحدة •

وقدرت لهذا الضابط ما قام به • وشعرت أنه كان يريد أن يقدم الى خدمة بالكشف عما غمض من أمور • واحطته علما بمقتل دالبى ، ولم يدهش لذلك أو يفاجأ به • ولم يعلق بأكثر من دالبى قد تأثر بدعايات الحمر ، مبديا أسفه لذلك ، أكثر من أسفه لمقتله •

اما عن « ملف هنری » فلم یزد علیه شیء جدید ، ولم یستجد من الامور ما هو جدیر بأن یضاف الی محتویاته ، وکان لکل نظریاته فی هذا الموضوع ، وقالت جین فی ذلك أنه لو قدر لنسا أن نتحقق من شخصیة هنری ، فسیتضح لنا أنه أحد أقرباء تشكیف ،

وكنت التقى بجاى فى المؤتمرات الشهرية التى أجتمع فيها بروس، لنعد تقريرنا الدورى لمخابرات الجيش • وكنت أراه سسعيدا ، بادى الكفاءة والمقدرة •

وكنت كلها اردت مقابلته ، اجده في الميرابل ، وفي صباح السبت الماضي التقيت به مصادفة في الليدز ، ودعاني لتناول العشاء معه أنا وجين ، واعداد الطعام بنفسه لنا ، وكنت احب أن ألبي دعوته ، ولكنني لا أظن أنني سأفعل هذا ، لأنه ليس من الحكمة الاكثار من الاصدقاء في مثل عملي هذا ،

تلك هي القصة التي انتهت بفشل جماعة « ابكريس » • وتلك هي تفصيلات نهاية هذه الجماعة وخيبة أملهم •

وهذا هو ما رويته للوزير السئول ، الذي جلس يستمع الى في انصات ولهفة ودهشة •

دارالكاتب العربي للطباعة والنشر متدمت لك في انشهد الماضي

بقلم عبدالحلیم البحسندی الامام الشاني

برجمة د ، نظسى لوقسيا أنياب التناس

بقلم مسعساد حساسی دعى لزوعى

شعر مسازن النقيب إلى العبرك الضاعكة

شعر عبدالقباد *رحميدة* أعلام الزورد الغي

امر القياد

ترجة د . عبدلغفارمكاوى

فصائدمن برتولد بمفت

د. سامى الدروى

عبدالفناح أبوالفضل

ملامي وعربر في لمرح لوغري د. على من ور

الكرة وليسالها محدحافظ رجب

دارالكانب العربى للطباعة والنشر

العدد القادم

حسناء الغابة

ترجمة حسين القباني

دارالكانب العربي

للطباعة والنشر

فتصدر السلاسل

تلنعي بالقارئ في طريق المعرفة والتقافة

مع الالحالية

914

، محکتبه، فلسطان

ه دراسات اسبویه واف

دارالكائبالغرى للطباعة والنشر بالمصامصية